



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

رقم التسجيل: م أع/073/2014

كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

## الفضاء الزماني والمكاني في: " رواية نزيف الحجر" لإبراهيم الكوني

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والادب العربي      فرع: أدب عربي      تخصص: أدب عربي حديث  
إعداد الطالبة:      إشراف الأستاذ:  
مقدودة بلواضح      عثمان مقيرش

أعضاء لجنة المناقشة:

- د/ مقيرش عثمان.....مشرفا
- د/ زلافي إبراهيم.....رئيسا
- د/ صالحى إبراهيم.....مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2016

## شكرو عرفان

قال تعالى: "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ"

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكْفُونَهُ بِهِ"

فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَّيْتُمُوهُ"

بدءاً نحمد الله العليّ القدير حمداً كثيراً يليق بجلال وجهه وعظمة سلطانه لا تضاهي الآءه

ونعمه المصبغة وإن اجتهدنا لذلك،

ونصلي ونسلم ونبارك على شفيعنا ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد:

أقدم بجزيل الشكر والتقدير والاحترام إلى الأستاذ المؤطر:

"عثمان مقريش"

حفظه الله والذي كانت توجيهاته القيمة بمثابة الخطوات التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل

كما أقدم بالشكر لكل قريب وبعيد ساعدني في إتمام هذا العمل جزاهم الله عني كل خير.

والله ولي التوفيق



## الإهداء

إلى من كلله الله بالهيبية والوقار... إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.. أرجو من الله أن يمد في عمرك لتمرى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلما تك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد..... والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني إلى بسملة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سرنجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب..... أمي الحبيبة

إلى بركة العائلة جدي وجد تاي

إلى من بهما أكبر وعليهما أعتد

إلى من بوجودهم أكسب قوة ومحبة لا حدود لها

إلى من عرفت معهما معنى الحياة أختاي

إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينايع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفتهم

في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير... إخواني الكرام

إلى زوجات إخواني والبراعم الصغار

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي



مفحات

## مقدمة:

أعتبر السرد أداة من أدوات التعبير الإنساني، فمنذ وجود الإنسان وجد هذا العنصر فهو حاضر في اللغة المكتوبة وفي اللغة الشفوية، وفي لغة الإشارات والرسم والتاريخ، وفي كل ما نقرأه ونسمعه ومنه إنحدرت الأجناس الأدبية المعروفة قديماً وحديثاً كالأساطير والخرافات والقصص والروايات، فبتعدد الأجناس الأدبية تعددت المناهج والدراسات ومن أهم الأجناس التي جرت عليها كثير من الدراسات نجد الرواية باعتبارها فناً سردياً يستعمل للتعبير الإنساني، وما يدور حوله، وتختلف هذه التعبيرات من شخص لآخر ولكن هناك بعض العناصر التي لا يمكن الإستغناء عنها في الرواية كالزمان والمكان باعتبارهما عنصرين فاعلين أساسيين فيها.

فالزمن عنصر أساسي في بناء الرواية، فشكل محورا هاما في مختلف المجالات المعرفية وإستقطب إهتمام الفلاسفة والبلاغيين والنحويين والأدباء والنقاد، فلا يمكننا أن نتصور حدثاً واقعياً أو خيالياً خارج الزمن، فهو المحرك الأساسي لحياة الإنسان ففيه يوجد وخلاله يعمل وقد إكتسى الزمن أهميته القصوى في مجال الأدب والنقد إذ أصبح بعداً أساسياً ومميزاً في الخطابات الأدبية، وأعتبر أساس العملية السردية ومنه لا يمكن أن يقوم هذا الزمن إلا بوجود مكان يجسد فيه حيث لم يعد عنصراً ثانوياً في الرواية بل أصبح عنصراً أساسياً له مكانته الخاصة.

أما عن إختياري لإبراهيم الكوني وروايته "تزييف الحجر" بالذات فنابع من كونه حدثاً فنياً عربياً لم يتكرر كثيراً في تاريخ الأدب العربي الحديث، لكن لم ينل حظه من الدراسات الأكاديمية - خاصة عندنا بالجزائر - كما ناله الروائي نجيب محفوظ وغيره.

أما عن إختياري للرواية بالذات دون غيرها من رواياته الأخرى: ناقة الله ، لون اللعنة السحرة، المجوس، واوالصغرى، عشب الليل تحقيقاً لرغبة في إكتشاف وتحليل مكونات هذا النص السردية من حيث ( الزمان والمكان) التي تتفاعل وتتسجم في النص لذا قمت برصد هذه المكونات لمعرفة تجلياتها المختلفة في النص باعتبارها مكونات حساسة ،ولأن دراستي تحمل جانبين نظري وتطبيقي في نفس الوقت أما الإشكاليات التي يطرحها نحاول الإجابة

عنها وهي : ما المقصود ببنية الزمان والمكان في الرواية وما دورها في بناء؟ وكيف  
تمظهرت جماليات هذه البنية في عملية السرد للرواية؟

ورسمت خطة مكونة في مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة لأهم النتائج، وملحقا لحياة الكاتب  
وملخصا للرواية، فأما الفصل الأول فعنوانته ب:بنية الزمان وقسمته إلى أربع مباحث :مفهوم  
الزمن،نظام الزمن،نظام السرد،التوتر وأنواعه،أما الفصل الثاني فوسمته ب:بنية المكان  
وقسمته بدوره إلى أربع مباحث أيضا،مفهوم المكان،أنواعه، علاقة المكان بالعناصر  
السردية،أهمية المكان في العمل الروائي، وقد إعتمدت في ذلك على المنهج البنوي إضافة  
إلى أليات المنهج الوصفي التحليلي.

كما إعتمدت على جملة من المصادر والمراجع التي شكلت زاد هذا البحث كان أهمها: بنية  
الشكل الروائي لحسن بحراوي، تحليل النص السردى لحميد حمداني، في نظرية الرواية لعبد  
الملك مرتاض، بناء الرواية، لسيزا قاسم.

وقد واجهتني العديد من الصعوبات منها:

- صعوبة تحديد الزمان باعتباره مظهرا حسيا.

- تداخل بعض الألفاظ مع المكان مثل الحيز والفضاء.

- كثرة الإقتباسات في الرواية بين القرآنية والصوفية والتراجيديا والأساطير.

- تشعب الموضوع، دقته.

غير أن توجيهات أستاذي الفاضل عثمان مقيرش قد سهلت علي البحث ونورت سبيله فله  
مني جزيل الشكر والتقدير.

# محل

## البنية السردية

أولا: السرد

ثانيا: مفهوم البنية السردية

ثالثا: جدلية العلاقة بين الزمان والمكان السرديين

# الفصل الأول

## بنيّة الزمان

أولاً: مفهوم الزمن

ثانياً: نظام الزمن

ثالثاً: نظام السرد

رابعاً: مستوى التواتر السردى

## تمهيد :

حظي الزمان باهتمام الفلاسفة والمفكرين لأنه يتضمن جملة من الثنائيات المتناقضة المتعلقة بالكون والحياة :كالوجود والعدم ،والثبات والحركة، والحضور والغياب، والزوال والديمومة ،والإيمان والكفر، والحياة والموت ،والزمان هو الوجه الآخر للكون ووجود الإنسان في الكون بدأت الحياة البشرية مسيرة جريانها وشرع الزمان بحركته الدائبة يمارس فعله في الوجود"فهو ينخر كالسوسة في باطن كل كائن محدود ."<sup>1</sup>

ينتقل الزمن بحركته اللامرئية بين ثلاثة أبعاد :الماضي وهو مكان موجودا ولم يعد له وجود وأصبح عدما والحاضر و هو المائل في الوجود الرابط الحقيقي بين الماضي والمستقبل والمستقبل هو مالم يوجد بعد وهو العدم الذي سيصبح وجودا بعد تلاشي الحاضر وتحوله الى ماضي وفي هذه الدراسة سنعني بمفهوم الزمن الأدبي ولاسيما الزمن الروائي فالزمن عنصرا مهما من عناصر النص السردي لأنه الرابط الحقيقي للأحداث والشخصيات والأمكنة .....والرواية من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالزمن "الرواية تعد فنا ما زمنيا أو عملا لغويا يجري ويمتد داخل الزمن"<sup>2</sup>

وهذا ما دفع **ميخائيل باختين** إلى القول "أن النص الروائي كان موزعا على نصوص عديدة ومتباينة الميلاد قبل أن ينهض ويللم نثاره الموزع فوق الأزمنة دون أن يكتمل"<sup>3</sup> وهذه العلاقة الوطيدة بين الرواية والزمن أفضت إلى القول بأن الرواية هي "الزمن ذاته"<sup>4</sup> وبالتالي لايمكن أبدا وجود عمل روائي خال من الزمن .

<sup>1</sup> - زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر للمطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، (دت)، ص82.

<sup>2</sup> - الطاهر رواينية: الفضاء الروائي في الجازية والدرأيش لعبد الحميد بن هدوقة في المبنى والمعنى، مجلة المسألة يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ع1991، ص1، ص24.

<sup>3</sup> - عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، مرجع سابق، ص104.

<sup>4</sup> - عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1988، ص20.

## أولاً: مفهوم الزمن :

### أ- لغة :

إن لفظ الزمن يدل على الوقت الذي وقع فيه الحدث ويرتبط به، إلا أننا لا نستطيع وضع مفهوم دقيق للزمن إلا على وجه التقريب، فالزمن هو الحيز الذي تستطيع الموجودات داخله ومعه تحديد هويتها وتفاعلها مع ما يحيط بها.

فورد في لسان العرب " زمن: الزمن و الزمان: إسم لقليل الوقت وكثيره وفي المحكم الزمن والزمان العصر، والجمع أ زمن، وأ زمان ،أ زمنة وأ زمن الشيء طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمن وأ زمنة وأ زمن."<sup>1</sup>

أما في المعجم الوسيط: "الزمان :الوقت قليله وكثيره ويقال :السنة أربعة أ زمنة ،أقسام أو فصول (ج) أ زمنة وأ زمن، الزمن: الزمان، ويقال زمن زامن :شديد."<sup>2</sup>

ومنه فالزمن من بين المفاهيم الكبرى التي حاز المفكرون والباحثون عن تحديده ومنه فله دلالات متعددة ومختلفة ،لكل هيئة من العلماء والفلاسفة مفهومها الخاص بها فالزمن لدى أفلاطون: "مرحلة تمضي من حدث سابق الى حدث لاحق"<sup>3</sup> بينما لدى أندري لالاند: "متصور على أنه ضرب من الخيط المتحرك الذي يجر الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبدا في مواجهة الحاضر".<sup>4</sup> وتعرفه مها حسن القصراوي: " أن الزمن في الحقل الدلالي الذي تحتفظ به اللغة العربية إلى اليوم ،هو زمن مندمج في الحدث، بمعنى أنه يتحدد بوقائع حياة الإنسان وظواهر الطبيعية وحوادثها وليس العكس."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - إبن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص60.

<sup>2</sup> - معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص401.

<sup>3</sup> - عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد) المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، (دط)، 1998، ص200.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه: ص 200.

<sup>5</sup> - مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2004، ص1، ص36.

حيث تقر أن الزمن في اللغة يحتفظ بنفس المعنى منذ القدم إلى اليوم من حيث أنه مرتبط بالحدث وحياة الإنسان ويدخل في جميع حركاته وأفعاله والحوادث المحيطة به. ويرى **عبد الصمد زايد** أن الزمن تلك المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة، وحيز كل فعل وكل حركة، والحق أنها ليست مجرد إطار، بل إنها بعض لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها ومظاهر سلوكها<sup>1</sup> فالزمن هو الحياة "إن الزمن حي والحياة زمانية"<sup>2</sup>

#### ب- إصطلاحا :

الزمن في الإصطلاح السردي "مجموع العلاقات الزمنية، السرعة، التتابع، البعد...، بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكى الخاصة بهما وبين الزمان والخطاب المسرود والعملية المسرودة"<sup>3</sup> إن وجود الزمن ضروري في السردو لكن ليس ضروري وجود سرد في الزمن " فمن المتعذر أن نعثر على سرد خال من الزمن وإذا جازلنا افتراضا أن نفكر في زمن خال من السرد، فلا يمكن أن تلغي الزمن من السرد"<sup>4</sup> ومنه الزمن من خلال العمل الأدبي فهو حسب **مها حسن القصراوي**: " يمثل الزمن محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها كما هو محور الحياة ونسيجها والرواية فن الحياة"<sup>5</sup>

ويعرفه **عبد المالك مرتاض** بقوله: " زمن الأحياء والأشياء فتتأثر بماضيه الوهمي غير المرئي، غير المحسوس ، والزمن كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان من حركاتنا غير أننا لا نحس به ولا نستطيع أن نلمسه ولا أن نراه."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالته، مرجع سابق، ص7.

<sup>2</sup> - سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق، ص243.

<sup>3</sup> - عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، مرجع سابق، ص103.

<sup>4</sup> - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1، 1990، ص117.

<sup>5</sup> - مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، مرجع سابق، ص36.

<sup>6</sup> - عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية، مرجع سابق، ص201.

ومنه فإن الزمن شيء وهمي غير مرئي ومحسوس لكنه يدخل في كل لحظات حياتنا ويربطنا بالمكان الذي نقيم به من خلال ذكريات ولكن دون استطاعة منا بلمسه أو رؤيته . ومن خلال هذا فالمفهوم العام للزمن كما يراه **عبد المالك مرتاض** : " الزمن هذا الشبح الوهمي المخوف الذي يقتفي أثارنا حيث ما وضعنا الخطى ، بل حيث ما استقرت بنا النوى ، بل حيثما نكون ، وتحت أي شكل ، وعبر أي حال فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه ، هو إثبات لهذا الوجود أولاً، ثم قهره رويد بإبلاء الآخر. فالوجود هو الزمن الذي يحاصرنا ليلاً نهاراً ومقاماً وتضعنا وصباً وشيخوخة دون أن يغادرنا لحظة من اللحظات أو يسهو عنا ثانية من الثواني، إن الزمن موكل بالكائنات ومن الكائن الإنساني، يتقصى مراحل حياته ويتولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء ولا يغيب عنه منها فتيل"<sup>1</sup>

## ثانياً: نظام الزمن:

إنطلاقاً من آراء **تدوروف** حول زمن القصة وزمن الخطاب، قسم **جيرار جينيث** الزمن إلى ثلاث مستويات وما يهم في دراستنا هذه هو: مستوى ترتيب الزمني الذي "يقوم بدراسة الترتيب الزمني للنص القصصي على المقارنة بين ترتيب الأحداث في النص القصصي، وترتيب تتابع هذه الأحداث في الحكاية"<sup>2</sup> ويلغي التسلسل والترتيب الطبيعي لأحداث الرواية ويعرضها بشكل يختلف تماماً عن شكلها الطبيعي، ومن خلال عرضها في الحكاية أي تقديم الأحداث وتأخيرها والمفارقة عند **جيرار جينيث**: "هي مختلف أشكال التناظر و الإنحراف بين ترتيب أحداث الخطاب وأحداث القصة."<sup>3</sup> وهذا يشير بطريقة منهجية إلى وجود نوع من درجة صفر التي قد تكون حالة توافق زمن تام بين الحكاية والقصة.

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية، ص 259-260.

<sup>2</sup> - سمير المرزوقي وجميل شاكور: مدخل إلى نظرية القصة، مرجع سابق، ص 79.

<sup>3</sup> - جيرار جينيث: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص 47.

كما تعني عدم التوافق في الترتيب بين الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تحكي فيه،" فالبدائية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت في وقت سابق نموذجاً مثالياً للمفارقة.<sup>1</sup> ومن خلال هذا يستطيع الروائي أن يحكي لك نهاية قصة مباشرة ثم يعود بالتفاصيل في أحداثها الأولى أو أن يتوقع ما يحدث له في المستقبل وهي أهم تقنيتين في بنية المفارقات الزمنية وهي الإستباق و الإسترجاع والتي سنقوم بشرحها كما يلي:

### 1- الإسترجاع:

الإسترجاع في اللغة من الرجوع: " قال سيبويه: رجع فلان أدراجه، أي الطريق الذي جاء منه"<sup>2</sup> والرجوع في اللغة يعني العودة إلى الوراء أو إلى ما كان من قبل والإسترجاع في بنية الزمن عملية سردية تعمل على إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد وتسمى كذلك هذه العملية بالإستذكار.<sup>3</sup>

كما يعني الإسترجاع: " أن يروى للقارئ فيما بعد ما قد وقع من قبل."<sup>4</sup> كأن يحكي ما حدث في الماضي بعد سرد أحداثاً حالية، أي تأجيل الكلام عن الماضي ثم العودة إليه. ومنه" فالإسترجاع تقنية زمنية، يستطيع السارد من خلاله الرجوع بالذاكرة إلى الوراء سواء في الماضي القريب أو الماضي البعيد.<sup>5</sup> وقد حدد جيرار جينيت ثلاث أنواع من الإسترجاعات هي:<sup>6</sup>

#### أ-الإسترجاعات الخارجية

<sup>2</sup> - ابن سيده(علي بن إسماعيل أبو الحسن):المخصص، دار الكتب، بيروت لبنان، السفر الثاني عشر،(دت)، ص305.

<sup>3</sup> - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق،ص80.

<sup>4</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردى(تقنيات ومفاهيم)،منشورات الإختلاف،الجزائر،ط1، 2010،ص78.

<sup>5</sup> - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردى(معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)،سلسلة المعرفة، (دط)،1995،ص217.

<sup>6</sup> - سمر روجي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا(مقاربة نقدية)، إتحاد الكتاب العرب العرب، دمشق، سوريا، (دط)، 2003،ص221.

ب- الإسترجاعات الداخلية

ج- الإسترجاعات المختلطة

وسنقوم في دراستنا هذه على الإسترجاعات الداخلية والخارجية، وهذه الإسترجاعات بأنواعها الثلاث ذات وظائف بنيوية متعددة، تخدم السرد وتسهم في نمو أحداثه وتطورها: "مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة، دخلت عالم القصة أو بإطلاعنا على حاضر شخصية إختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد."<sup>1</sup>

أ- الإسترجاعات الخارجية:

ويعرفها جيرار جينيت: " ذلك الإسترجاع الذي تظل سعته كلها، خارج سعة الحكاية الأولى."<sup>2</sup> وبعبارة أوضح يمثل الإسترجاع الخارجي إستعادة أحداث، تعود إلى ما قبل بداية الحكاية.<sup>3</sup> أي: " عودة الراوي إلى البدايات الأولى لما قبل القصة."<sup>4</sup>

وفي رواية "نزيف الحجر" توجد أمثلة كثيرة تشير إلى عملية الاسترجاع أو الإرتداد نحو الخلف في الزمن ففي مقطع الذي يحمل عنوان " الصلاة أمام النصب الوثني(العساس)" تتخذ المفارقة الزمنية شكلا إسترجاعيا عن الزمن الحاضر وهو يصف بطله أسوف الذي ينهي صلاته، ليعود الى الماضي البعيد عندما جاء رجال مصلحة الآثار: " تذكر عندما جاء رجال مصلحة الآثار منذ سنوات بقافلة من السيارات، قضا ليلة في متخذوش يرافقهم عجوز طلياني أشقر قالوا عنه إنه عالم كبير في الآثار: طويل القامة، نحيل الجسم، أشيب، يحمي بصره من نور الشمس بنظارات كبيرة سوداء، و يدون ملاحظات في دفتر لا يفارق يده... وفي الصباح أهدوا له علب السردين والتن والحليب المقلب ورغيف خبز أبيض، وقال له موظف الآثار: "أنت من

1 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص121-122.

2 - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص60.

3 - عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، مرجع سابق، ص111.

4 - سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق، ص90.

اليوم حارس وادي متخدوش، أنت عيوننا في الوادي... أنت العساس ثم لوح بيده وأخرج من جيبه عشرة جنيهات... وقال هذا عربون سوف ندفع لك شهريا... أعاد له أسوف العشر جنيهات... وقال له ماذا أفعل بالفلوس في مساك؟<sup>1</sup> تذكر أسوف عند سماعه هدير المحرك في الصحراء رجال مصلحة الأثار عندما جاؤوا وعرضوا عليه وظيفة حراسة وادي متخدوش بمرتب شهري لكنه رفض المرتب وقبل الوظيفة لأنه لا يعرف ماذا يفعل بالنقود في الصحراء الخالية التي لا يوجد فيها إنس واحد، إلا تجار القوافل الذين يمرون ويقايضهم مقابل التمر والشعير والقمح بالماعز السمين من بعيد دون أن يتكلم معهم. " يذكر فقط نضرة موظف الأثار هل هي شفقة؟ هل هي شقاء؟ هل هي عجز؟"<sup>2</sup>

تذكر أسوف نظرة الطلياني عالم الأثار إليه ولم يفهم تلك النظرة في عينيه وسببها هل هي شفقة أم لأنها أول رحلة له عبر الصحراء فأتعبته الصحراء. فأرجع أسوف تلك النظرة إلى التعب، وأيضا في: " يقولون إنكم أبدتم كل قطعان الغزلان في الحمادة الحمراء"<sup>3</sup> تذكر أسوف و إسترجاعه لما يقوله الناس في تجمعاتهم حول قابيل الذي لا يأكل سوى لحم الحيوان وقضاه على كل خرفان الدنيا وغزلان الموجودة في الحمادة الحمراء، وفي مقطع " الأيقونة الحجرية" الذي يبدأ ب: "لا يروق للتيوس أن تتناطح أمام وجهه إلا عندما يشرع في الصلاة"<sup>4</sup> وينتهي على هذا النحو " في اليوم التالي، إكتشف أن المعزة الشقية التي خرجت عن القطيع وقادته إلى كهف الجن الأكبر، قد خنقها الذئب في تلك الليلة فتذكر كيف تخلت عنه الظلمة وهربت ظلها عند لجوئه إليها بعد سقوطه من الصخرة."<sup>5</sup> في هذه الجملة نجد استرجاع في قول أسوف إثري تذكره كيف طارد أشقى معزة في القطيع والتي إنشقت عن بقية الماشية ونزلت وادي متخدوش الموحش فركض وراءها حتى ادركها عند مصب وادي في " أينسيس" حيث توجد

<sup>1</sup> - إبراهيم الكوني : نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ط3، 1992، ص14.

<sup>2</sup> - الرواية: ص15.

<sup>3</sup> - الرواية: ص21.

<sup>4</sup> - الرواية: ص07.

<sup>5</sup> - الرواية: ص12.

مجموعة من الكهوف تتخللها عدة رسومات فحاول تسلق الصخور كي يلمس قناع الجني الضخم فلم يستطيع وتهاوى وسقط في الوادي على ظهره وظل يتلوى من الألم وزحف على أربع لكي يستظل بظل الشجرة خضراء تقف في الوادي وصل إلى الشجرة فاخفى الظل الشجرة وبقي مندهشا من هذا الأمر وأيضا في: "أمه قالت: إنهم سكان الكهوف القدماء...الأجداد الأولون. ولكنك قلت إن الكهوف مسكونة بالجن؟ رمقته بإستغراب ثم إبتسمت ثم تمايلت يمينا ويسارا وهي تخض قربة الحليب بين يديها"<sup>1</sup> يبدأ تذكر أسوف من هذه الجملة وينتهي على هذا النحو: "تدخلت أمه لماذا تخيفه بمحاورات الجن الليلية؟ الأجدد أن تحلب الناقة وتأتييني بالحليب قبل العشاء"<sup>2</sup> تذكر أسوف واسترجاعه أقوال أبيه وأمّه عن الجن الذين يسكنون الكهوف ومحاوراتهم الليلية وعن جن الخير جن الشر، وأيضا في: "أبوه أيضا أوصاه بالقلب قبل أن يموت كان يجلسه أمامه في ضوء القمر في ليالي الصيف...لكنه أيضا سورة الإخلاص"<sup>3</sup> تذكر أسوف لوالده وإسترجاعه لوصاياه وكيف كان يعلمه آيات من القرآن الكريم كي تساعده على الصلاة وتوصيته بالقلب وإذا أضاعه فإنه سيضيع بين الناس لأن الصحراوي لا يعرف مكائد الناس.

" لم يذكر منذ أن ولد أنهم جاوروا أنسيا واحد، يذكر في طفولته كيف نزلت عليهم عائلة من تادرارت وإستقرت في الأودية العليا...أفاق في فجر اليوم التالي على هرجة مبكرة فتح عينيه فوجد والده يحزم الأمتعة ويشد الرحال، ويروض الجمال إستعدادا للسفر ... أيقظته مشادة حامية بين الأب والأم"<sup>4</sup> تذكر أسوف بأنهم عاشوا وحيدين في الصحراء وأنه عند طفولته جاورتهم عائلة من "تادرارت" في "مساك" لأن الأمطار كانت سخية في ذلك العام إلا أنه أفاق في اليوم التالي مبكر على صوت شجار بين أمه وأبيه إثر حزمه للأمتعة من أجل السفر حيث أن الوالد لم يكن يريد مجاورة الناس ويخشى شرهم في حين أن الأم كانت تخشى رأي الناس فيها، وكانت له تجربة مع

1 - الرواية: ص 09.

2 - الرواية: ص 10.

3 - الرواية: ص 23.

4 - الرواية: ص 24.

الودان من خلال قوله: "علمه كيف يروض الجمال المتوحشة ويدربها حتى تصبح مطيعة وسريعة ، وفي "مساك صطفت" دربه على صيد الودان وقضى به الأيام في "مساك ملت " يعلمه التصويب بالبندقية ...ويحدثه عن أخلاق الحيوانات والطيور في الصحراء <sup>1</sup> تذكر أسوف تجربته أول مرة في رحلاته إلى المراعي مع والده وتعليمه له صيد الجمال و الودان والتصويب بالبندقية وكيف حدثه عن الحيوانات والطيور في الصحراء وأخلاقها " يعود ويقص عليه قصته مع الودان" قال أدركت ودانا تائها في العراء حتى تعب فطارده بالمهري حتى هذه التعب، أتعرف ماذا فعل عندما خارت قواه؟ ولى على أثره وهاجم المهري <sup>2</sup> إسترجاع أسوف محاوراته مع أبيه وكيف قص عليه قصته مع الودان وطارده وكيف هاجمه الودان .

" نسيت أن أقول لك إن معركتنا كانت تدور في واد مقطوع عن الجبال والودان يعرف أنه لن يستطيع الإفلات لابتعاده عن حصونه في الجبال <sup>3</sup> تذكر الوالد أن معركته مع الودان كانت تجري في واد بعيد جدا عن الجبال والأماكن التي يعرفها الودان ويختبئ فيها وهذا ما جعله يعرف بأنه لا يستطيع الهرب " حكى له كيف أن الودان هو روح الجبال و كانت الصحراء الجبلية في قديم الزمان في حرب أبدية مع الصحراء الرملية وكانت آلهة السماء تنزل الى الأرض مع الأمطار وتفصل بين الرفيقيين وتهدئ من جدوة العداوة بينهما، وما أن تغادر الآلهة ساحة المعركة وتتوقف الأمطار عن الهطول حتى تشتعل الحرب بين العدوين الخالدين... فأنزلت عليهما الآلهة عقاب...فتحايل الرمل ودخل في روح الغزلان، وتحايلت الجبال من جهتها ودخلت في الودان، منذ ذلك اليوم أصبح الودان مسكونا بروح الجبال. <sup>4</sup> تذكر أسوف حكاية والده حول أن الودان هو روح الجبال والحرب بين الصحراء الجبلية والصحراء الرملية والتي أنزلت عليهما الآلهة عقاب فجمدت الجبال وأوقفت تقدم الرمال وكيف تحايلا ودخلت الرمال في روح الغزلان والجبال في الودان ومنذ ذلك الحين أصبح الودان مسكون بروح الجبال.

<sup>1</sup> - الرواية: ص 24.

<sup>2</sup> - الرواية: ص 25.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 26.

<sup>4</sup> - الرواية: ص 26.

أما في مقطع: " ثمن عزلة "تمثل الاسترجاع في" لقد كسر الحيوان المسكون رقبتة كما هو كسر يوما رقبة ذلك الودان الذي إنتحر"<sup>1</sup> إسترجاع لحدث يعود لما قبل بداية الحكى أي عودة الراوي إلى البدايات الأولى لما قبل القص من خلال ماحدث مع الوالد وفي مقطع " النذر " تمثل الإسترجاع في: "الأب تغير منذ أن إنتحر الودان المكابر بين يديه، أصبح مهموما واجما كئيبا يكثر من ترديد المواويل الوجدانية الحزينة ويغفل عن مخاطبته عندما يتحدث معه وكثيرا ما رافقه إلى الجبال تادرات أو صحاري مساك ملت دون أن يبادل كلمة واحدة."<sup>2</sup> وهنا عودة الى الماضي من خلال رسم علاقة أسوف بوالده قبل أن يموت وكيف كان حزينا وكئيبا ولا يتكلم معه ويبكي بصمت في مجلسه خلف السرج." وبالرغم أن الصحراء في تلك السنوات كانت تعج بالغزلان إلا أن الوالد سن نفسه تقليدا ألا يصطاد أكثر من شاة واحدة في رحلة."<sup>3</sup> تذكر أسوف كيف أن الصحراء كانت مليئة بالغزلان إلا أن الوالد كان يصطاد شاة واحدة فقط حيث كان متأكدا أن روح الغزال تشتد وتقوى إذا زادت عن واحدة، فنتغلب بذلك عن حصن القرآن و أحجبة السحرة.

"يذكر في إحدى الليالي الشتوية القاسية كيف إجتمع ثلاثتهم حول الموقد يتدفؤون بالنار في كهف " الرعاة" فوجد فرصة في هذه المواجهة، وعاود طلبه نظر العجوز في عينيه طويلا ثم تبادل مع الأم نظرة أطول، ثم نكس رأسه وأخفى عينيه في السنة النار...أبوك لا يريدك أن تسفك دماء الودان لأنه نذر نذرا من زمان، قبل أن تولد"<sup>4</sup>يتذكر أسوف في إحدى ليالي وهو جالس مع أبويه أمام النار فسأل أباه حول تهربه وتأخيره موعد صيد الودان. "كان يصطاد في سفوح جبال "أينسيس" فزلقت رجله ووجد نفسه معلقا بين السماء والأرض يمسك بصخرة ورجلاه تتدليان في الهاوية فقد الأمل في النجاة فانتشله نفس الحيوان الذي كان يقاتله وينوي قتله... لقد نذر ألا يقترب

1 - الرواية: ص34.

2 - الرواية: ص45.

3 - الرواية: ص46.

4 - الرواية: ص48.

من الودان ، وعد ألا يدرب نسله على صيده.<sup>1</sup> تذكر الأم ما حصل مع زوجها(أب أسوف) لما أراد إصطياد الودان الذي أنقذ حياته فيما بعد فنذر وعدا إلى\*الله عز وجل\* بأنه لن يصطاد ثانية ولن يعلم نسله ذلك. وفي مقطع "الهاوية" :تذكر كلام الوالدة عن الوعد ،ثم عاد فنسيه مرة أخرى، الشيطان قرين الشباب، وسوس له فنسي وسها، ودس له في قطيع الأغنام ثلاثة رؤوس من الودان.<sup>2</sup> إسترجاع أسوف لكلام والدته حول الوعد الذي نذره أبوه، حول صيد الودان فنسيه إثر وسوسة الشيطان له وأيضا في: " لم يحدثه والده وأمه أن الودان يمكن أن يأنس إلى الغنم إلى الحد الذي يجعله يرتع معها في المرعى بهذا الإطمئنان."<sup>3</sup> تذكر أسوف أنه أثناء محاوراته في مسامراته الليلية مع أبواه حول الودان والجن والصحراء لم يخبراه بأن الودان يمكن أن يرعى مع الغنم إلى هذا الحد.

وأیضا: " قبل مصرعه بأسابيع قال له الوالد وهو يرافقه إلى أبرهوه لجلب الحطب على عدد من الجمال: " هل تظن أن الحيوان لا يفهم لمجرد أنه لا يقدر أن يتكلم مثلك؟ إنه ذكي أذكى منك ومني!<sup>4</sup> إسترجاع أسوف لموقف حصل له مع والده إثر ذهابهم لجلب الحطب على الجمال وتدلليل أبوه للجمال ومحاورته له ومداعبة وبره وتحسسه لشفتيه الكبيرتين بحنان وإحتضانه ردا لسؤال أسوف حول هذا الإهتمام ،كما نجد أيضا تذكر أسوف لنصيحة والده من خلال: " يجدر بك أن تهتم بمهرك دائما، إذا لم تحبه لن يحبك، إذا لم تفهمه لن يفهمك ولن ينقذك في اللحظة الحرجة."<sup>5</sup>تذكر أسوف لنصيحة والده بإهتمامه بمهره، لأنه أوفى من الإنسان ينقذك في أسوأ لحظاتك .

#### ب- الإسترجاعات الداخلية:

هذا النوع من الإسترجاعات حسب جيرار جينيت هو أن: " حقلها الزمني متضمن في

<sup>1</sup> - الرواية: ص49.

<sup>2</sup> - الرواية: ص53.

<sup>3</sup> - الرواية: ص54.

<sup>4</sup> - الرواية: ص55.

<sup>5</sup> - الرواية: ص 55.

الحقل الزمني للحكاية الأولى.<sup>1</sup> وبعبارة أوضح هو: "إستعادة أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها."<sup>2</sup> وهي أيضا: "الأحداث المتزامنة حيث تستلزم تتابع النص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية."<sup>3</sup>

ومن خلال هذه التعريفات نجد أن الإسترجاع هو تذكر أحداث وقعت في الماضي بعد بداية الحكاية، ومنه تنقسم الإسترجاعات الداخلية إلى قسمين:<sup>4</sup>

1- إسترجاع داخلي متباين حكايا: وهو الذي يسير على خط زمن الحكي لكنه يحمل مضمونا سرديا مخالفا لمضمون السرد الأول (حالة إدخال شخصية روائية جديدة يقوم السارد بتوضيح خلفيتها)

2- إسترجاع داخلي متجانس حكايا: وهو الذي يسير تماما على خط زمن السرد الأول ومن أمثلة هذا في الرواية ما يلي: بداية في مقطع "ثمن العزلة" تمثل الإسترجاع في قوله: " تذكر أسوف ما قاله له مرة: الرجل في الصحراء لابد أن يقتصد في شيتين: في الماء، وفي الرصاص، إن الماء والرصاص في الخلاء مثل الهواء هما عماد الحياة، إذا فقد أولهما مت عطشا، وإذا فقدت الثاني فتك بك عدو...إنسان أو وحش أو أفعى، الماء والرصاص من مقومات الرجل الوحيد، يمكن أن يتخلى عن أي شيء إلا عنهما."<sup>5</sup> تذكر أسوف مقولة والده وتوصيته حول الماء والرصاص حيث هما الهواء وهما عماد الحياة إذا فقدتهما مت سواء بالعطش أو من طرف العدو فهما مقومات الرجل فيهما قوته ورجولته، وقال أيضا: " إن لا شيء يثير جنون الودان مثل الإمساك بقرنيه، مهما كنت قويا ،ومهما راودك الأمل في الإنتصار عليه فإنك ستخسر المعركة إذا لجأت إلى هذه الحيلة، جنونه في قرونه."<sup>6</sup> في بحث أسوف عن والده في الجبال

1 - جبرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص61.

2 - عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، مرجع سابق، ص112.

3 - جبران خليل جبران: الفضاء الروائي، دار الشروق الثقافية، بغداد، (دط)، 2001، ص107.

4 - عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2010، ص18-19.

5 - الرواية: ص32.

6 - الرواية : ص33.

وجد آثار عراك مع الودان في وادي آينسيس أحس بالقلق، ثم تذكر ما حذر والده منه حيث أن الشيء الذي يثير جنون الودان هو قرونه هل فعل ماخشي هو منه؟ فمهما كنت قويا ومفعما بالأمل في الإنتصار فإنك ستخسر المعركة لا محال ، وفي مقطع "شبح من الهملايا" تمثل إسترجاع في : "أوقفا سيارتهما بجوار الخيمة، ونزل طويل القامة أولا ، أشعث الشعر، شاحبا، ذابلا، كأنه جاء من رحلة طويلة، كأنه عبر الصحراء من تمبكتو حتى جبل نفوسه.<sup>1</sup> إسترجاع داخلي متباين حكايا تمثل في إدخال شخصية جديدة إلى الرواية يقوم السارد بتوضيح خلفيتها إنه قابيل آدم، وأيضا: " الحياة لا تستقيم إلا بالصبر والحيلة، الحرب أيضا لا تكتسب إلا بالصبر والحيلة، الحرب الحيلة.<sup>2</sup>

تذكر أسوف أثناء مطاردته للودان ما قاله أبوه حول اللجوء للحيلة والصبر من أجل كسب المعركة، "تذكر النذر والده أيضا مات، لأنه خان النذر ،فهل سيموت؟"<sup>3</sup> تذكر أسوفه النذر الذي قطعه بأنه لن يصطاد الودان ولن يعلم أي أحد من نسله صيده فمات الأب عندما خان النذر، وأيضا في قوله: " إنه سيعتبر نفسه حيا ما دامت هذه المبادئ حية في قلب الإبن وسيموت فقط عندما يخون مبدأ من هذه المبادئ."<sup>4</sup> إسترجاع أسوف للمبادئ التي رسمها والده فيه وأنه إذا خان أي مبدأ فإنه حتما سيموت.

أما في مقطع "كلمة السر" نجد إسترجاعا في: "وصية الوالد: كاد ينسى أوصيك بالصبر كيف تستقيم الصحراء بدون صبر؟...علي ، أما في مقطع "العظاية" فنجد إسترجاعا في : "تذكر الصبر، لولا الصبر لهوى في الهاوية."<sup>5</sup> وفي مقطع "رحلة الجسد" في قوله: " إنها الحالة الثالثة بين الموت والحياة...عاشها في ذلك اليوم وهو

<sup>1</sup> - الرواية: ص 41.

<sup>2</sup> - الرواية: ص 59.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 61.

<sup>4</sup> - الرواية: ص 63.

<sup>5</sup> - الرواية: ص 72.

يزحف في الوادي باحثاً عن قطرة الماء بين الموت والحياة.<sup>1</sup> إسترجاع ماحدث لأسوف إثر مطاردته للودان ونجاته من الموت وزحفه في الوادي بعد ذلك بحثاً عن الماء الذي تركه في قاع الوادي قبل بدئ المعركة أما في مقطع "النقيضان" نجد إسترجاعاً في تذكر أسوف وهو يراقب الأغنام كيف كانت شرسة وقوية، وشقية وحيوية وسمينة وما أصبحت عليه الآن بعد الجفاف في قوله: "أين تلك الشراسة التي تتميز بها الأغنام؟ أين تلك الشقاوة والحيوية؟ أين نشاط الجديان العادي؟"<sup>2</sup>.

وفي مقطع "الدعاء" تذكير بركوب أسوف السيارة قبل هذه المرة في سيارة الطلياني الأشيب عالم الأثار في قوله: "هذه ثاني مرة يركب فيها أسوف السيارة المرة الأولى كانت برفقة الخبير الطلياني الأشيب الذي أجلسه بجواره في سيارة مكشوفة وطلب منه أن يدلّه على كهوف وادي آينسيس.<sup>3</sup> وأيضاً: "كان نصرانيا بشوشاً وطيباً...ولكن النصراني تناول منظر ثبته على عينيه، وراقبهما من خلال فتحتيه حتى غابا في ظلال أعالي الجبال."<sup>4</sup> إسترجاع لما جرى مع أسوف أثناء ركوبه مع الطلياني في السيارة المكشوفة، وكيف إعترضهما زوج ودان، ضمن أسوف بأن الطلياني سوف يتناول البندقية ويطلق عليهما النار إلا أنه أخذ منظاره وظل يراقب الودان حتى إختفى وعرف أسوف حينها أنه رجل شريف يحب الأثار ومخلوقات الصحراء، ويضيف الكوني في: "تذكر كيف إستقبله جنود الكابتن بورديللو في غات منذ ثلاثين سنة."<sup>5</sup> تذكر أسوف أثناء لقاءه بالطلياني ما حصل له في الماضي البعيد عندما نزل إلى الواحات وقبض عليه من طرف رجال بورديللو، وأيضاً في: "منذ حادثة الهاوية، منذ رأى أباه في عيني الودان الذي أنقذه من الموت."<sup>6</sup> تذكر أسوف عند ذهابه مع قابيل ومسعود الدباشي للبحث على الودان ما حصل له في آخر لقاء معه وكيف أنقذه من

1 - الرواية: ص75.

2 - الرواية: ص80.

3 - الرواية: ص85.

4 - الرواية: ص86.

5 - الرواية : ص86.

6 - الرواية: ص88.

الهاوية ونذره حول صيد الودان وكيف أصبح هذا الأخير يأنس إليه منذ أن توقف على الصيد، وفي مقطع " لن يشبع ابن آدم إلا التراب" نجد إسترجاعا في: " أخبرونا في الواحات أنك الوحيد الذي يخبر معاقله في هذه الأرض."<sup>1</sup> إسترجاع قابيل حديث أهل الواحات حول أسوف حيث هو الأدمي الوحيد الذي يعيش في تلك المنطقة ويعرف خباياها، وأيضا في: " لن تفلت مني كما أفلت من جنود الكابتن بورديلو ،لقد أخبرني الأهالي بالقصة، و لكني لا أصدق أنك تحولت إلى ودان."<sup>2</sup> تذكر قابيل أسطورة تحول أسوف إلى ودان وهروبه من جنود الطليان.

أما في مقطع "الأفيون" نجد إسترجاعا في قوله: "جون باركر كابتن بقاعدة هوبلس منتدب للعمل بمعسكر يخضع للقاعدة ،يقيم بجبل الفوسة شغف بفلسفات الشرق منذ أن كان طالبا في كليات الإستشراق بجامعة كاليفورنيا قرأ الزرادشتية والبوذية والصوفية والإسلامية."<sup>3</sup> في هذا المقطع نجد استرجاع داخلي متباين حكايا يتم فيه سرد وادخال شخصية جديدة للرواية وهو جون باركر حيث يقوم السارد بتوضيح خلفيتها، ففي الجامعة ردد أمام كارولين جملة غامضة من تعاليم الزن ."<sup>4</sup> تذكر جون باركر ما قاله في الجامعة إلى المرأة التي يحبها حول تعاليم الزن وكيف نسي بأن يخبرها أنه إستعار الجملة من نص في معجم البوذيين ، حيث إتهمته بالجنون، وأيضا: " النص الصوفي المغمور ذكره بالهذيان الذي حطم أول علاقة له بإمرأة."<sup>5</sup> تذكر جون عند مطالعته لكتاب الصوفية في شمال إفريقيا ما حصل له مع كارولين عندما كان شغوفا بتعاليم الزن " آه ، لو عرف زنادقة التيجانية أنني أبوح بأسرار الصحراء للنصارى !سيرجمونني بالحجارة. "<sup>6</sup> ، وأيضا: " الزيت الغريان، التمر فزان، واللحم ودان! "<sup>7</sup> تذكر

1 - الرواية: ص106.

2 - الرواية: ص106.

3 - الرواية: ص115.

4 - الرواية: ص116.

5 - الرواية: ص117.

6 - الرواية: ص119.

7 - الرواية: ص 119.

تذكر جون باركر لما إلتقى بقايل وأخبره باندثار الغزلان في الصحراء وما أخبره به شيخ الطريقة القادرية عن أسرار الحياة، أما في مقطع "التمائم"

نجد: "تذكر جون باركر ما قرأه حول الودان في المكتبة فيقول: "منذ أيام ذهبت الى مكتبة القاعدة بطرابلس وبحثت في الموسوعة عن معلومات بشأن الودان ،هل تعرفاه أن هذا الحيوان انقرض من العالم منذ القرن السابع عشر؟"<sup>1</sup> أما في مقطع "نزيف الحجر" تمثل الإسترجاع في: "تذكر كيف قاده الودان المجنون حتى ألقى به في الهاوية وتركه هناك معلقا في فمها ، ولولا السر العظيم الذي ورثه عن والده، لولا الصبر، السر لما نجا من تلك المصيدة."<sup>2</sup> تذكر أسوف ما حصل له مع الودان المسكون بروح الجبال وكيف أن وصية والده هي التي أنقذته من الهلاك .

وأیضا في: " تذكرت ،الآن تذكرت هذا الحيوان الذي جاعني تلك الليلة ،هذا هو الشيطان الذي رماني في الهاوية. " <sup>3</sup>تذكر قايل ما حدث له لما كان مريضا والودان الذي جاءه في الليل وأخذه فوق ظهره ورماه في الهاوية حيث أن أسوف هو الودان وروح الودان حلت في جسده، أما الإسترجاع الآخر فتمثل في مقولة أسوف: " لايشبع ابن آدم الا التراب"<sup>4</sup> تذكر أسوف مقولة والده حول بني آدم وظل يرددتها في إصرار طفولي حتى قتله قايل.

كل هذه الاسترجاعات الداخلية والخارجية زادت في الرواية من واقعيتهما السحرية المليئة بالأسطورة حيث تشعرك بأنها حقيقية وشخصها حقيقيون يفكرون في ما حدث له.

## 2-الإستباق:

الإستباق في اللغة من: "سبق ( سبق): أخذ سبق ، وبين الخيل: سابق، والشاة

<sup>1</sup> - الرواية: ص135.

<sup>2</sup> - الرواية: ص143.

<sup>3</sup> - الرواية: ص144.

<sup>4</sup> - الرواية: ص146.

ونحوها ألفت ولدها بغير تمام ، والطير الجارح: جعل السباقين في رجليه، إستبقوا وتخطأوا وتفاضلوا ( السابق )، المتقدم في الأخير.<sup>1</sup> وهو التقدم في اللغة.

أما إصطلاحاً فهو كالأتي: إذا كانت الاسترجاعات تزودنا معلومات ماضية سواء حول الشخصية أو الحدث أو فإن الإستباقات تظل أقل تردداً من الاسترجاعات" فالاستباق هو التطلع للمستقبل<sup>2</sup>

وهو نوعان : "إستباق حقيقي أي قول المستقبل قبل وقته، والآخر بمعنى الإشارة لشيء يحدث في المستقبل ويسمى أيضاً بالسرود الاستشرافي فهو الاستباق أو القفز الى الأمام أو الإخبار القبلي وكل مقطع حكائي يروي أحداثاً سابقة عن أوانها أو توقع حدوثها...<sup>3</sup>" وهو تقديم لمحة عن ما سيحدث في المستقبل كما يعني أيضاً الولوج الى المستقبل أو هو رؤية المبتغى والطموح وتجسيده قبل تحقيق الوصول اليه، ويعرفه **جيرار جنيت**: " مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف اطلاع المتلقي على ما سيحدث في المستقبل وحين يتم إقحام هذا المحكي المستبق، يتوقف المحكي الأول فاتحاً المجال أمام المحكي المستبق، كي يصل إلى نهايته المنطقية، ووظيفة هذا النوع من الاستباقات الزمنية ختامية، ومن مظاهره العناوين وأبرزها تقديم ملخصات لما سيحدث في المستقبل.<sup>4</sup>

أما أنواع الإستباق فنجد:

أ- إستباق متمم: "ويرد مسبقاً ليسد ثغره"<sup>5</sup> ، يلجأ إليه الروائي عندما يحس أن هناك ثغرة و فجوة في سرده .

<sup>1</sup> - معجم الوسيط: مادة سبقة، مرجع سابق، ص414.

<sup>2</sup> - أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المطابع المركزية، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص36.

<sup>3</sup> - محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (بط)، 2005، ص107.

<sup>4</sup> - أحمد مرشد: البنية والدلالة، مرجع سابق، ص267.

<sup>5</sup> - أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص38.

ب- إستباق مكرر: ويضعف بصفة مسبقة مقطوعة سردية آتية والإستباق المكرر يلعب دور أنباء، ويرد الأنباء في العبارة المألوفة "سنرى فيما بعد" ووظيفته في نظام الأحداث تتمثل في خلق حالة إنتظار عند القارئ .

ح- الفواتح : وهي معطيات ترتبط بفن التمهيد القصصي ولا يفهم معناها إلا في مرحلة لاحقة فقصص الغرام على سبيل المثال تورد فواتح كثيرة كذكر احمرار الوجنتين ولا يفهم القارئ معناها بصفة قطعية إلا عندما يربطها ببعضها " تلعب دورا مؤشرات يتمكن القارئ بفضلها من حل اللغز".<sup>1</sup>

ومنه فالإستباق هو ذكر لحدث لاحق وهو قليل في الروايات العربية ورواية نزيف الحجر مثل باقي الروايات العربية والإستباق فيها قليل لكنها لا تخلو منه لأن لأي شخص متطلعات وتوقعات لأحداث رغم أن شخصيات الرواية كانت لها إسترجاعات كثيرة إلا أن هناك بعض التطلعات وتوقعات يمكن أن تحدث .

ومن الإستباقات في الرواية نجد الفواتح في بعض مقاطع الرواية فيها تمهيد قصصي ولا يفهم معناه إلا في مرحلة لاحقة عند توغل في الحكاية وهذه الفواتح تتمثل في كلمة أو جملة أو عدة جمل فنجد منها مثلا : في مقطع الأيقونة الحجرية : "لا يروق للتيوس أن تتناطح أمام وجهة إلا عندما يشرع في الصلاة".<sup>2</sup> في هذه العبارة إستباق لما سيحدث مع أسوف عند قيامه بالصلاة حيث عند قراءته الجملة لا نفهم معناها إلا عند التوغل داخل الحكاية ومعرفة ما حصل وفي مقطع "شيطان سمه انسان" نجد : "القلب دليل من لم يعاشر الناس في فهم الناس".<sup>3</sup> هنا إستباق لما سيحدث مع أسوف و إهتدائه بالقلب لمعرفة الناس مثلما أوصاه والده قبل أن يموت حيث أن القلب هو النار التي يهتدي بها البدوي في الصحراء ،وفي مقطع " ثمن العزلة" نرى في جملة "يمكن أن يتخلى عن أي شيء إلا عنهما ... يخبئ الرصاصات في الكهف حتى يتمكن من إثبات رجولته

<sup>1</sup> - أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص39.

<sup>2</sup> - الرواية: ص07.

<sup>3</sup> - الرواية: ص23.

قوته.<sup>1</sup> تنبأ والد أسوف من خلال الشائعات بين القبائل الصحراوية بأن العدو الطلياني سيدخل الصحراء سيقتل كل من يجده لهذا هو يخبأ الرصاص لهذا اليوم لكي يدافع على زوجته وابنه ويثبت رجولته أمام العدو قبل أن يموت ويقع في الأسر مثل الجبان، وأيضا في: "آه... إنه يستدرجه إلى تلك القمة البشعة الغامضة." <sup>2</sup> تنبأ السارد لحدث يمكن وقوعه إثر عراك نشب بين أسوف والودان وجر هذا الأخير إلى قمة الجبل والتنبأ بوقوع أسوف من فوق إلى الهاوية.

أما في مقطع "كلمة السر" نجد إستباقا في توقع أسوف ما سيحدث لأمه بعد موته في الهاوية هل ستموت؟ أو تبقى وحيدة وتفترسها الذئاب يوما ما ستدفع أمه ثمن العزلة ثمن الحرية والابتعاد عن أذى الخلق في قوله: "أمه ستبقى وحيدة، وستفترسها الذئاب في يوم ما لن تتجو بدونه، ستدفع هي الأخرى ثمن العزلة ثمن الحرية والابتعاد عن أذى الخلق."<sup>3</sup> وفي عبارة أخرى: "لا أمل للوالدة في النجاة، كتب عليها الشقاء وسوف تتعذب طويلا قبل أن تموت وأسوأ ما في الأمر أنها ستتعب قبل أن تموت." <sup>4</sup> إستباق مكرر لما سيحدث للأم في حياتها الباقية بدونه سوف تتعب وتشقى من سيعينها في جمع الحطب، والبحث عن الأكل، ومقايضة التجار أما في مقطع "اللقيط" نجد إستباقا آخر في قول أحد العرافين حين سرد عليه آدم أب قابيل بالتبني حادثة اللحم النيئ مع ابنه فأجابه العراف: "يا قابيل يا ابن آدم لن تشبع من لحم ولن تروى من دم حتى تأكل من لحم آدم وتشرب من دم آدم." <sup>5</sup> تنبأ العراف بأن قابيل لن يشبع ويروى من لحم ودم حتى ياكل من لحم آدمي، إلا أن قابيل ظل يأكل اللحم النيئ ولم يتخلى عنه حتى قتل أخته بالدم وأكلها فتحققت نبوءة العراف.

أما في مقطع "العهد" نجد إستباقا في قول الغزالة لوالدتها بأن اللعنة ستلاحق كل الغزلان المهاجرة إلى الجنوب لأنهم خالفوا قانون المخلوقات الزمن، المكان، الجسد وهم

<sup>1</sup> - الرواية: ص32.

<sup>2</sup> - الرواية: ص33.

<sup>3</sup> - الرواية: ص66.

<sup>4</sup> - الرواية: ص69.

<sup>5</sup> - الرواية: ص92.

غادروا المكان لآحياة لهم في بلاد الغربية ستحل عليهم لعنة السماء أينما كانوا "اللعنة سوف تلاحق كل المهاجرين لأنهم خالفوا أحد الأركان الثلاثة التي يقوم عليها قانون المخلوقات".<sup>1</sup> وفي مقطع "الأفيون، نجد إستباقا آخر في قول درويش القادرية: "آه، لو عرف زنادقة التيجانية أنني أبوح بأسرار الصحراء للنصارى! سيرجمونني بالحجارة."<sup>2</sup> تنبأ شيخ الطريقة القادرية بما سيحدث له لو عرف التيجانيون بأنه يقول أسرار الصحراء لنصراني لقتلوه ورجموه ومن تلك الأسرار نجد: "الزيت غريان، التمر فزان، و اللحم ودان "حيث أن من أجود أنواع التمور الموجود في فزان وأحسن اللحوم وأجودها لحم الودان أما في مقطع " لحم ذوي القرية" نجد إستباقا في قول مسعود وسخريته حول علامات القيامة ووجود الغزلان في الجبال بأنه لو صدقت نبوءات الحكماء والشيوخ لقامت القيامة في قوله: "معك حق لو صدقت نبوءاتهم لقامت القيامة حتى الآن ألف مرة على الأقل".<sup>3</sup>

هذه جل الإستباقات التي وردت في الرواية مختلطة بين الفواتح و الإستباقات المكررة وغيرها لأن الإستباق ظاهرة نادرة في الرواية العربية لأن هذه الفكرة تتنافى مع التشويق الذي هو أساس الأحداث الروائية ومن خلال هذه الإستباقات نجد أن رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني كانت رواية إسترجاعية أكثر.

### ثالثا: نظام السرد ( الإيقاع ):

إن دراسة نظام السرد تعنى بدراسة العلاقات بين زمن الحكي وطول النص ، حيث أن الزمن يقاس بالثواني والسنين ، والطول بالجمل والصفحات وذلك قصد إستقصاء التغيرات التي تطرأ على سرعة السرد من تعجيل و تبطئة ، وهو ما يسمى بالديمومة (المدة) والتي رصد فيها **جينيت** حالتين من التوافق وحالتين من التقابل حيث أن المدة هي التفاوت النسبي الذي يمكن قياسه بين زمن القصة وزمن السرد ، فليس هناك قانون واضح يمكن من دراسة هذا الشكل " إذ يتولد إقتناع ما لدى القارئ أن هذا الحدث إستغرق مدة

<sup>1</sup> - الرواية: ص110.

<sup>2</sup> - الرواية: ص119.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 119.

زمنية تتناسب مع طوله الطبيعي أو لا تتناسب ، بغض النظر عن عدد الصفحات التي تم عرضه فيها من طرف الكاتب.<sup>1</sup>

لقد أقر جيرار جينيت : " بأن المفارقة بين مدة حكاية بمدة القصة التي ترويها هذه الحكاية عملية أكثر صعوبة ، وذلك لمجرد أن لا أحد يستطيع قياس مدة حكاية من الحكايات ، فما يطلق عليه هذا الإسم تلقائيا لا يمكن أن يكون كما سبقه أن قلنا غير أن الزمن ضروري لقراءته لكنه من الواضح كثيرا ، أن أزمنة القراءة تختلف باختلاف الحدوثات الفردية ."<sup>2</sup> وقد إقترح جيرار جينيت أن تدرس المدة من خلال تقنيات أربعة وهي: المجمل(الخلاصة)، القطع(الحذف)، التوقف(الوقفة الوصفية)، المشهد، ولأن الإشتغال على هذه التقنيات يبرز من خلال تأثيرها في تحديد سرعة السرد وهي تختلف من تقنية إلى أخرى .

### 1-تسريع الحكى :

إن مقتضيات تقديم المادة الحكائية عبر مسار الحكى تفرض في بعض الأحيان على السارد أن يعتمد إلى تقديم بعض الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية طويلة ضمن حيز نصي ضيق من مساحة الحكى ،مركزا على الموضوع صامتا على كل ما عناه" معتمدا على تقنيتين تمكنانه من طوي مراحل عدة من الزمن يجعل الأحداث الروائية تتوالى تواليا متلاحقا إلى منظومة الحكى هما المجمل والقطع ."<sup>3</sup>

### أ-المجمل :

يعد المجمل إحدى حالات عدم التوافق بين زمن الحكاية وزمن السرد حيث يتم تلخيص عدد من السنوات في بضع جمل أو صفحات فتسبق حركة الزمن حركة السرد أي أن الحركة العمودية لزمن السرد أسرع من الحركة الأفقية، وهو ما يتطلب على مستوى الخطاب الأسلوب غير المباشر ، ويكون قريبا حين يختصر حدثا أو حوارا ،وبعيدا حين

<sup>1</sup> - حميد لحمداني: بنية النص السردى، مرجع سابق،ص76.

<sup>2</sup> - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص101.

<sup>3</sup> - أحمد مرشد: البنية والدلالة، مرجع سابق، ص284.

يختصر أحداثا يطول مداها الزمني، وي طرح الإيجاز عدة تقاطعات مع المشهد تسمى بإحتواء المشهد وهو: "مراحل زمنية في الكتابة مقابلة بين الإيجاز والمشهد يكون فيها الثاني تفصيلا وتوضيحا للأول، والأول إختصارا للثاني مع أن للواحد منهما من الناحية البنائية وظيفة تختلف عن وظيفة الآخر." <sup>1</sup>

وفي رواية نزيه الحجر للكوني قد حاول فيها هذا الأخير تقديم تلخيص لحياة كل بطل من أبطال الرواية أو حتى شخصياتها الثانوية وسنأخذ على سبيل الأمثلة هذه التقنية حيث بدأ بتلخيص حياة أسوف فيقول: "لا يروق للتيوس أن تتناطح أمام وجهه إلا عندما يشرع في الصلاة مع حلول العشية بهذه العبارة بدأ الكاتب بالسرد حياة أسوف من رعيه للغنم وصلاته في الخلاء وهذا ما يدل على الخلفية الدينية سواء للكاتب أو الشخصية الرئيسية في الرواية وكيف كان أسوف يتجول في وادي متخدوش منذ طفولته حتى شبابه ورؤيته لتلك الرسوم المحفورة في الصخور ومدى أهميتها في عيون النصارى." <sup>2</sup>

كما لخص حياته مع أبويه في عدة سطور أي إختزال ما كان في سنوات في سطور قليلة حيث قدم: "محاورات أسوف مع والديه حول سكان الكهوف المسكونة بالجن وحياة والديه في الصحراء الخالية والقاسية كما لخص اليوم الأول من عمل أسوف في رعي الغنم ،يومها طارد أشقى معزة في القطيع إنشقت عن بقية الماشية ونزلت في وادي متخدوش الموحش." <sup>3</sup> تم تلخيص اليوم الذي طارد فيه أسوف المعزة في واد متخدوش وإكتشافه في اليوم الموالي أن الذئب خنقها في تلك الليلة ،وفي قوله أيضا: "لما إلتقى أسوف أول مرة مع عالم الآثار الطلياني وكيف قضى ليلة ونهارا في متخدوش وهو يتقافز بين الصخور كما تتقافز الجديان الشقية." <sup>4</sup> هنا تم سرد وقائع يفترض أنها جرت في عدة ساعات وتم إختزالها في سطر ولخص أيضا: "حياة أسوف مع والده وتعليمه له في ليالي الصيف القرآن الكريم كي يساعده في الصلاة كما لخص أيضا طفولة

<sup>1</sup> - Gerard Genette: figure III, coll. poétique, éditions du seuil , paris ,1972, p142.-

<sup>2</sup> - الرواية: ص08.

<sup>3</sup> - الرواية: ص8-9.

<sup>4</sup> - الرواية: ص14.

أسوف في تادرات ورحلته مع والده لتعلم صيد الودان وترويض الجمال المتوحشة كما علمه التصويب بالبندقية ومحاوراته مع والده عن الأخلاق ومغامرته مع الودان الأسطوري<sup>1</sup>. من الصفحة 23 الى الصفحة 26 لخص الكاتب أيضا حياة أسوف ووالده في ثلاث إلى أربع صفحات في الرواية والتي يفترض أنها جرت في عدة سنوات ، وفي قوله أيضا " قضى أياما يقتفي الأثر وعندما وجد آثار الصراع مع الودان في واد آينسيس أحس بالقلق ".<sup>2</sup> في هذه العبارة ذكر الكاتب كلمة أيام لكنه لم يذكر الأحداث والوقائع التي حصلت فيها وهنا إختزلها الكاتب بكلمات قليلة من أجل تسريع السرد.

وأیضا في: " لم ينم طوال الليل وكان عليه أن ينتظر أسابيع أخرى حتى تمر القافلة." <sup>3</sup> في هذه العبارة أيضا لم يتم التطرق لما حدث مع أسوف في تلك الأسابيع التي ينتظر فيها القافلة ليقايض الماعز مقابل أكياس الشعير والقمح ،وفي : "بعد أيام حزم أمتعته وحوش غنمه وقصد الطريق الذي يربط بين مرزق وكانوا ."<sup>4</sup> لم يتم في هذه العبارة ذكر ما جرى مع أسوف من أحداث في تلك الأيام بعد توبيخ أمه له و إتهاماتها القاسية كما لخص أيضا :<sup>5</sup> "حياة والده ومعاناته في الصحراء منذ إنتحار الودان وشجارته مع الأم حول مجاورة الإنس." وفي قوله أيضا : "وقضى به عدة أيام في سهول مساك ملت." <sup>6</sup> لم يذكر الكاتب هنا بالتفصيل ما حدث مع أسوف ووالده في تلك الأيام أثناء ذهابهم إلى الصيد ، وأیضا في قوله: " حدث ذلك بعد وفاة العجوز بسنوات ."<sup>7</sup> لم يتم سرد الأحداث والوقائع التي جرت في تلك السنوات وإختزلها الكاتب في عبارة واحدة وهذا من أجل تسريع السرد في الرواية، وفي وقوله أيضا : " قبل مصرعه بأسابيع قال له الوالد وهو يرافقه إلى أبرهوه لجلب الحطب." <sup>8</sup> لم يتم ذكر ما حدث في تلك الأسابيع مع

1 - الرواية:ص23-26.

2 - الرواية:ص33.

3 - الرواية:ص37.

4 - الرواية: ص38.

5 - الرواية: ص45.

6 - الرواية: ص46.

7 - الرواية: ص53.

8 - الرواية:ص55.

أسوف ووالده سوى أنهم ذهبوا لجلب الحطب على عدد من الجمال ومحاوراتهم أثناء ذلك حول الحيوانات كما قدم لنا ملخص ما حدث مع أسوف بعد وفاة أمه وقضاءه بضعة أسابيع في المرتفعات مع ما تبقى من ماعز.<sup>1</sup> لم يتطرق الكاتب لسرد الوقائع والأحداث التي جرت مع أسوف في تلك الأسابيع واكتفى بتلخيصها في بضعة كلمات والتي يمكن حدوثها في أيام عدة أو شهر، وفي قوله أيضا: "إعتقاله من طرف رجال الكابتن بورديلو في اليوم الأول من نزوله الواحة، وساقوه إلى الحامية الإيطالية حيث مجموعة من الشباب معتقلين فسخروا منه وفي الطريق تحول إلى ودان وقفز بين الصخور رغم الرصاص الموجه له."<sup>2</sup> حيث تم تلخيص ما يمكن وقوعه في عدة أيام وساعات في صفحة واحدة كما قدم لنا ملخص لحياة قابيل: "منذ ولادته وما حدث لأمه وأبيه وموت خالته وزوجها بعدما ورثو تربيته، وأيضا موت التاجر الذي تبناه من قبل قبائل يم يم وشراة قابيل نحو اللحم النيء."<sup>3</sup> فقد لخص حياته ووالديه ومع خالته وزوجها والتاجر في عدة سطور أي إختزال ما كان في سنوات في سطور قليلة.

وفي قوله أيضا: "مضى شهر على قراره."<sup>4</sup> لم يتم سرد الوقائع التي حدثت في ذلك الشهر ولمح لها فقط كما لخص: "ما جرى في الحمادة في السنوات الأخيرة."<sup>5</sup> لم يذكر يذكر هنا ما حدث بالتفصيل بل تم إختزال الأحداث في سطر واحد فقط ما يمكن سرده في عدة صفحات. وقدم لنا أيضا تلخيصا لحياة جون باركر: "بأنه كابتن بقاعدة هويلس وطالب بكلية الإستشراق بجامعة كاليفونيا و إهتمامه بالطرق الصوفية، وقصته مع كارولين وتركها له كذلك إهتمامه بالدرويش القادري و صداقته مع قابيل"<sup>6</sup> لخص لنا حياة جون باركر في عدة سطور ما كان قد وقع في عدة سنوات، وأيضا في قول قابيل: "كما إبتزرتي طوال السنوات الماضية بخصوص الغزلان."<sup>7</sup> لم يتم ذكر ما جرى

1 - الرواية: ص 79.

2 - الرواية: ص 83.

3 - الرواية: ص 91-94.

4 - الرواية: ص 95.

5 - الرواية، ص 110.

6 - الرواية: ص 115-119.

7 - الرواية: ص 120.

جرى من وقائع في تلك السنوات بين قابيل وجون باركر سوى ذكر سبب الإبتزاز ألا وهو الغزلان وهنا تم تلخيص ما حدث في سنوات إلى كلمات قليلة وكل هذا من أجل تسريع السرد، وقدم لنا أيضا تلخيصا لحياة زوجة قابيل والتي تقيم مع أهلها بعد طلاقها منه وبعد موافقة قابيل لكنها تهتم به وترسل إليه توابل لطبخ اللحم السحري كما تعد له الكسكس وتغسل ثيابه.<sup>1</sup> لخص لنا في عدة سطور ماكان حدوثه في سنوات.

وفي قوله أيضا: "قبعد وليمة ليلة الجمعة لم يذق طعاما للحم مدة أسبوع."<sup>2</sup> لخص ما جرى مع قابيل في أسبوع في سطر واحد ما يمكن وقوعه في عدة سطور، كما قدم لنا تلخيصا لحياة الفقراء في قوله: "أما في الشهور العادية فلا يطمع الفقراء في أن ينالوا من الذبائح فيوجدون أبوابهم."<sup>3</sup> لخص ما يحدث مع الفقراء في عدة شهور في سطرين ما يمكن وقوعه في عدة صفحات، بسبب الأحداث والوقائع التي إختزلها الكاتب من أجل تسريع السرد.

## ب-القطع:

يمثل القطع إحدى حالات عدم التوافق بين محوري الزمن في الرواية، حيث يتجه زمن من الحكاية نحو ما لانهاية، و تؤول المسافة السردية نحو نقطة قريبة من الصفر ويتعلق الأمر بمدة من الحكاية يسكت عنها تماما من طرف الحاكي، ويجب أن تكون هناك إمارة دالة على الحذف أو أن يكون على الأقل قابلا للإستنتاج من النص ويكون وظيفيا بدرجة أعلى أو أدنى.<sup>4</sup> ويفهم من هذه المقولة أن القطع أنواع عند جنيت:

1- القطع المحدد: وهو الذي ينص على مدته كقولنا "بعد مدة كذا "

2- القطع غير المحدد : وهو الذي يشار إليه ولا ينص على مدته كقولنا "بعد مدة" وهذان النوعان يحتويان أسلوبين هما:

<sup>1</sup> - الرواية: ص131.

<sup>2</sup> - الرواية: ص137.

<sup>3</sup> - الرواية: ص138.

<sup>4</sup> - جيرار جنيت وآخرون: نظرية السرد(من وجهة النظر إلى التبئير)،ترجمة ناجي مصطفى، الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1989،ص170.

أ-القطع الصريح :ينص عليه النص صراحة .

ب- القطع الضمني :يفهم من الصياغ .

حيث يرى جيرار جنيت أن ثمة" نوعان من القطع ،القطع الصريح ويتضمن المحدود وغير المحدود ،أما الثاني فلا يتضمنه السرد بل يتحسس القارئ وجوده من خلال العمل الروائي ،وعليه يسمى القطع الضمني "<sup>1</sup>ومن حالات القطع الضمني البياضات التي يتركها الكاتب بين المقاطع المتتالية.

إضافة إلى أن " القطع يحمل أحيانا مضمونا روئيا كقولنا بعد مرور سنين ومنه فإن هذا القطع يختصر في الحكاية أحداثا سريعة"<sup>2</sup>، ومنه فهو عدم دخول في تفاصيل الأحداث التي تقع في فترة معينة و الإكتفاء بالتلميح إليها مثلما نجد في هذه الرواية بعض الأمثلة الدالة على هذه التقنية أولها : "إنهم سكان الكهوف القدماء ...الأجداد الأولون "<sup>3</sup>حذف ضمني تمثل في ثلاث نقاط التي تركها الكاتب بين الكلمتين ، وفي قوله: "نحن ننتمي إلى القبلية الأخرى ...قبيلة الجن التي إختارت الخير "<sup>4</sup> هنا نجد حذف ضمني آخر تمثل في النقاط التي تركها الكاتب ،وأیضا في "منذ ذلك اليوم بدأ الزوار يتقاطرون على الواد المنسي منذ آلاف السنين ،يأتون جماعات بمعدل كل أسبوعين ، وأحيانا كل شهر ، وقليل ما يتغيبون لأكثر من شهر "<sup>5</sup>حذف صريح محدد في قوله منذ آلاف السنين يأتي السياح إلى الوادي لم يدخل في تفاصيل الأحداث التي وقعت في تلك الفترة بل إكتفى بالتلميح إليها فقط ومنه فهو يختصر في الرواية أحداثا سريعة ، وأیضا في قوله: " لوح له من بعيد محبيا ، فتشجع أسوف فتقدم نحوه إلتقيا في منتصف الطريق شده على يده بحرارة وقال ضاحكا : إذا هو أنت الجني أسوف الذي أثر العيش في الخلاء الخالي عن معاشرة الناس "<sup>6</sup> وأیضا في: " إلتقاء أسوف مع

<sup>1</sup> - Gerard Genette : figure III, p140

<sup>2</sup> - p140. dem.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 09.

<sup>4</sup> - الرواية: ص 10.

<sup>5</sup> - الرواية: ص 15.

<sup>6</sup> - الرواية: ص 18.

مسعود الذي هو صديق قابيل<sup>1</sup> من خلال هاتين العبارتين نجد الكاتب حذف فترة طويلة فلم يحكي سوى على نزول قابيل ومسعود من السيارة والتقاءهما بأسوف فلم يحكي عن بدايات أعمارهم ولا كيف التقى مسعود بقابيل وأصبحا صديقان يجولان الصحراء لصيد الودان ، كما يظهر الحذف أيضا في " تقو...و...و وهل تسمي لحم الماعز لحما إنه عفن تعافه الكلاب وتخجل من أكله الذئاب "<sup>2</sup> حذف ضمني يحمل مضمون روائي تمثل في كره قابيل للحم الماعز رغم حبه وشراسته للحم من خلال محاوراته مع أسوف ، وإستعمل أيضا حذفًا آخر في " قضى أيام يقتفي الأثر "<sup>3</sup> وهو حذف صريح في إستعماله لكلمة أيام فلم يتم ذكر ما حدث من وقائع في تلك الفترة مع أسوف فساعده هذا على تسريع السرد ، كما يظهر حذفًا ضمنيًا آخر في قوله " ثم...يا ربي...هل أمسك بقرنيه "<sup>4</sup> وتمثل في البياضات التي تركها الكاتب في العبارة وأيضا في قوله " آه...إنه يستدرجه لتلك القمة البشعة الغامضة "<sup>5</sup> حذف ضمني آخر تمثل في ثلاث نقاط من أجل تسريع السرد .

و إستعمل الحذف في " طعمه مثل...الغزلان ،مثل الودان "<sup>6</sup> حذف ضمني يفهم من صياغ النص ، وأيضا في قوله " وبرغم أن الصحراء في تلك السنوات كانت تعج بالغزلان "<sup>7</sup> حذف صريح لتلك السنوات التي سن الوالد فيها تقليدا بعدم صيد الغزلان رغم كثرتها من أجل الحفاظ عليها ومنه فلم يدخل في تفاصيل الأحداث التي وقعت آنذاك فساعده هذا على تسريع السرد، وفي قوله أيضا : "حدث ذلك بعد وفات العجوز بسنوات "<sup>8</sup> حذف صريح تمثل في عدم الولوج في تفاصيل أحداث تلك الفترة بل تلميح إليها فقط، كما نجد حذفًا ضمنيًا تمثل في " رأى تلك الإشارة من عيني التيس الآخر

1 - الرواية: ص19.

2 - الرواية: ص21.

3 - الرواية: ص33.

4 - الرواية: ص 33.

5 - الرواية: ص 33.

6 - الرواية: ص43.

7 - الرواية: ص46.

8 - الرواية: ص53.

...المنافس الحقيقي<sup>1</sup> يفهم من صياغ هذه العبارة ومن ثلاث نقاط الدالة على الحذف وأيضا في " أنظر إليه ،إلى عينيه ...إلى أسنانه ...إلى رقبته الهيفاء ...إلى ساقيه كل شيء فيه متناسق ورشيق"<sup>2</sup> حذف ضمني تمثل في حديث أسوف مع والده ومدح هذا الأخير للجمل من خلال وصف جسمه وقوامه الجميل.

وإستعمل الحذف أيضا في قوله "...قال أنا أخاف الودان"<sup>3</sup> حذف ضمني تمثل في ثلاث نقاط الدالة على الحذف، وفي قوله أيضا: "ثم ...يا ربي ماذا يريد أن يفعل؟ أين يجرنى إلى الهاوية"<sup>4</sup> حذف ضمني تمثل أيضا في ثلاث نقاط الدالة على الحذف مما ساهم في تسريع السرد، من خلال حديث أسوف مع نفسه أثناء عراكه مع الودان، كما يظهر حذفًا ضمنيًا آخر في قريبا " سينتهي كل شيء ...سينتهي الألم والعطش"<sup>5</sup> حذف ضمني تجسد في البياض من خلال مقولة أسوف أثناء تعلقه في رأس الجبل وشعوره بأنه سيموت وحيدا في الصحراء وإذا مات ستموت أمه وحيدة أيضا وشعوره بالألم والعطش والتعب.

واستعمل أيضا الحذف في قوله: " أنت أبي ،لقد عرفتك ،أريد أن أخبرك ..."<sup>6</sup> تجسد الحذف في مقولة أسوف عند رؤيته للودان ومشاهدة والده في عينيه ومخاطبته له لكنه أغمي عليه وفي قوله: " ولكن الحجاب الشفاف إزداد كثافة ...غطى الدنيا بالظلمات"<sup>7</sup> بالظلمات<sup>7</sup> حذف ضمني ساهم في تسريع السرد من خلال الوصف كما تجسد الحذف الحذف في قوله: "بعد وفاتها قضى بضعة أسابيع في المرتفعات"<sup>8</sup> حذف صريح تمثل فيما قضاه أسوف في تلك الأسابيع من صعوبات ومعاناة لم يتم ذكرها وأيضا في

1 - الرواية: ص54.

2 - الرواية: ص55.

3 - الرواية: ص55.

4 - الرواية: ص60.

5 - الرواية: ص69.

6 - الرواية: ص70.

7 - الرواية: ص79.

8 - الرواية: ص81.

تلك السنوات، كانت الحمادة تفيض بالحياة وتعج بقطعان الغزلان<sup>1</sup> حذف صريح لأحداث جرت في عدة سنوات لم يتم ذكرها بالتفصيل وإنما التلميح إليها فقط من أجل تسريع السرد وهو ما يمكن ذكره أيضا في عدة صفحات، وفي قوله أيضا "اعتلى أعلى القمة...القمة المهيبة الزرقاء المععمة بالغمام التي يخشى حتى الودان أن يقترب منها"<sup>2</sup> حذف ضمني للأحداث وقعت تلك الفترة وتم إختصارها في الرواية، كما تجلى الحذف أيضا في قوله: "في ربيع الأعوام البعيدة الماضية"<sup>3</sup> وهو حذف صريح لأحداث وقعت في الربيع لم يتم التطرق لها بالتفصيل وإنما التلميح إليها فقط .

ومن خلال دراسة تقنيتي المجمل والقطع في تسريع السرد نذهب الآن إلى تقنيتين أخرتين تقومان بتبطئته ونقصد بهما المشهد والتوقف .

## 2-تبطئة الحكى :

"إن مقتضيات تقديم المادة الحكائية عبر مسار الحكى تفرض على السارد في بعض الأحيان أن يتمهل في تقديم الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية قصيرة ضمن حيز نصي واسع من مساحة الحكى ،معتمدا على تقنيتين تمكننا من جعل الزمن يتمدد على مساحة الحكى ،هما الوقفة والمشهد ."<sup>4</sup>

### أ-المشهد :

هو حالة التوافق التام بين حركة الزمن وحركة السرد ،حيث يتحرك السرد أفقيا وعموديا بنفس حركة الحكاية ،فنتساوى بذلك المسافة الزمنية (مستوى الحكاية )والمسافة الكتابية (مستوى النص )، وهذا لا يتأتى في الحقيقة إلا في حالة الخطاب بالأسلوب المباشر (الديالوج والمنولوج ) لذلك يسمى المشهد بالطريقة الدرامية في كتابة القصة وبما أن الرواية سرد درامي فإن الأحداث القوية فيها تتحول تلقائيا إلى مشهد و الثانوية

1 - الرواية: ص96.

2 - الرواية: ص110.

3 - الرواية: ص 110.

4 - أحمد مرشد: البنية والدلالة، مرجع سابق،ص309.

إلى ملخص (إيجاز)، وإذا كان الحوار يعد هو التجلي الخالص للمشهد فإن ذلك لا يحدث إلا في حالة الحوار المجرد، الذي يلتزم حدود الموقف، أما الأسلوب المباشر الموجز الذي ينقل الأحداث أو الواصف الذي يصف الأشياء، فإنه يخل بعلاقة التساوي نوعاً ما حيث تقصر المسافة السردية وتطول المسافة الزمنية والعكس في حالة الأسلوب المباشر المحلل مما يعيد للمشهد توازنه.

ويمكن للمشهد أن يحتوي على المفارقات الزمانية والوصف وتدخلات الكاتب الموجهة للعملية السردية وتعليقات السارد الأخلاقية والفلسفية... الخ، لذلك فإن ما يقصد (بإحتواء المشهد) هو إحتوائه على هذه القضايا التي تجعله قريباً من الإيجاز، وبما أن المشهد هو الحدث لحظة النمو لا تقرير السارد عنه فإنه يتطلب من الوقت "بالقدر الذي لا يكون فيه أي تغيير في المكان، أو أي قطع في إستمرارية الزمن"<sup>1</sup> علماً أنه "لا عبرة بزمن القراءة في تحديد زمن الإستغراق"<sup>2</sup> وإذا ما أتينا إلى رواية "نزيف الحجر" نجد جلها مشاهد حوارية أغلبها بين الشخصية المحورية أسوف مع الشخصيات الأخرى بالتناوب سنتناولها بالشرح والتقديم لأن الرواية من بدايتها حتى نهايتها تقريباً مشاهد تساعد على توضيح الأحداث حيث بدئها "بحوار بين أسوف وأمه حول سكان الكهوف القدماء هل هم الأجداد الأولون مثل ما تقول الأم أو أن الكهوف مسكونة بالجن مثلما قال أسوف وتدخل الأب في هذا النقاش بأن الجن ينقسمون إلى قبيلتين: قبيلة الخير وقبيلة الشر وأن عائلة أسوف من قبيلة الجن التي إختارت الخير"<sup>3</sup>

ومشهد آخر ظهر من خلاله "تذكر أسوف لرجال مصلحة الآثار منذ سنوات وما جرى بينهم من حوار بين أسوف والعجوز الطلياني حيث هذا الأخير عين أسوف حارس في وادي متخدوش وأعطاه عشر جنيهاً مقابل حراسته للكهوف فرفض أسوف وقال بأنه لا يعرف ماذا سيفعل بها كما أنه يحرس كل وديان مساك صطفت بدون فلوس"<sup>4</sup>، ثم حوار آخر بين "أسوف وقابيل وما جرى بينهم من نقاش حول الودان والبحث عنه من

<sup>1</sup> - ليون سرميليان: بناء المشهد الروائي، ترجمة فاضل ثامر، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد 1987، 3، ص 19.

<sup>2</sup> - حميد لحمداني: بنية النص السردية، مرجع سابق، ص 76.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 9-10.

<sup>4</sup> - الرواية: ص 14.

طرف قابيل وبمساعدة أسوف بما أنه يعرف كل جزء في الصحراء ثم حوار آخر بين مسعود وأسوف حول قابيل بأنه لم ينم ليلة واحدة بدون لحم وأمر أسوف بأن يريهم كهوف الودان<sup>1</sup> وقد أخذت هذه الحوارات في الرواية ستة صفحات.

ثم مشهد آخر بين "أسوف ووالده حول الغزال والودان ومغامرات والده مع هذا الأخير ومطاردته في الجبال حتى إنتحر كما حكى له كيف أن الودان هو روح الجبال والغزال روح الرمال وما جرى بين الصحراء الجبلية والصحراء الرملية من حروب وكيف أنزلت الآلهة العقاب على كل منهما"<sup>2</sup> وقد أخذت هذه الحوارات أربعة صفحات ، ثم مشهد آخر بين "الأم وأسوف حول غياب الأب وتزود أسوف بالماء والتمر وحواره مع أمه حول الرصاص الذي خبأه والده وذهابه للبحث عن أبيه "<sup>3</sup>

ثم حوار آخر جرى بين "أسوف وقابيل حول مكان الودان والذهاب لصيده وإعتراف أسوف بوجوده في رؤوس الجبال في أوعر الجبال ،ثم حوار مسعود مع قابيل وجنون هذا الأخير ونوباته بسبب اللحم ،ثم حوار آخر بينهم حول الجن الذي يستولي على عقل قابيل بسبب إيمانه للحم وحول جنيات الكهوف أيضا "<sup>4</sup> وقد جاءت هذه الحوارات في الرواية في ثلاث صفحات حيث كلها مشاهد عطلت السرد كثيرا مما جعل الرواية طويلة جدا وخصوصا بعض المشاهد التي ليس لها دور في تغيير مسار السرد مثل حوار الذي جرى بين "أسوف ووالديه حول تعليمه صيد الودان وإكتشاف أسوف السر بعد إخبار أمه له بأن والده نذر نذرا من زمان قبل أن يولد بأنه لن يعلم صيد الودان لنسله إذا رزق بمولود ذكر لأن الودان الذي كان يصطاده ويريد قتله هو الذي أنقذه من الهاوية بعد أن فقد الأمل في النجاة "<sup>5</sup> ومشهد آخر بين "أب أسوف وجمله حيث يحاوره في الليل وفي النهار وفي الظهر قبل تناوله للطعام وفي الليل قبل نومه وتدليله له

1 - الرواية: ص22-27.

2 - الرواية: ص24.

3 - الرواية: ص31-32.

4 - الرواية: ص41-43.

5 - الرواية: ص47-49.

ومدحه له "1 ثم حوار آخر تمثل في مونولوج بين "أسوف ونفسه وهو معلق في رأس الجبل وحواراته مع نفسه بأنه سيموت و إذا مات سوف تموت أمه وحيدة في الصحراء ستتعب ،لن يسمح لها بالموت وحيدة سوف ينجو ،مناجاة أسوف للجن الذين كان يسمعونهم في الكهوف وللإنس، لكن الإنس غير موجودين في تلك المنطقة وصراخه اليائس ،وتذكره تعليمة والده له من خلال معرفة وجود الله في القلب ،الصبر ، وحواراته بأن لأمل له في النجاة ولا أمل لوالدته أيضا في النجاة ،شيء ما يتحرك فوقه ورؤيته للودان الذي كان يريد صيده ورؤيته لوالده في عيون الودان ومخاطبته له "2 وقد أخذت هذه الحوارات خمس صفحات مما عطل السرد كثيرا.

كما أن هناك مشاهد غيرت مسار السرد منها "حوار أسوف مع قابيل حول آثار الودان إلا أن أسوف نفي ذلك وقال أنها آثار ماعز وصلاة أسوف في تلك اللحظة لرؤيته ودانا خلف الصخور فدعى الله لكي يذهب قبل أن يقتل ثم في الأخير ذهاب الودان ووقوف قابيل على فضلاته فعرفها وشجاره مع أسوف "3 ثم مشهد آخر بين " آدم أب قابيل بالتبني والساحر حول ابنه قابيل الذي يأكل اللحم النيئ ومحاورات الساحر معه وإعطائه حجاب ليحميه لكن الحجاب ضاع في أحد الرحلات فعاد قابيل لعادته أما أبوه فأكلته قبائل يم يم المشهورة بحبها للحم الأبيض "4 ومشهد آخر ظهر من خلاله "عراك بين أسوف وقابيل حول اللحم وإصرار أسوف الطفولي بعبارته لن يشبع ابن آدم إلا التراب فاستفز بها قابيل فقتله "5 وفي حوار آخر بين "الأم الغزالة ووالديتها حول مهاجرة الغزلان للجنوب والتعويدة التي يملكونها لحمايتهم من بني آدم، وسرد الغزالة الأم قصة أمها في قديم الزمان والتي ضحت بنفسها من أجل حماية نسلها حيث تقول لقد إشترينا هذا الحصن بثمن غالي ومشاجرتها مع قطيع الغزلان "6 كما نجد مشهد

1 - الرواية: ص55.

2 - الرواية: ص66-70.

3 - الرواية: ص87-89.

4 - الرواية: ص92-93.

5 -الرواية: ص105-108.

6 -الرواية: ص110-113.

آخر بين" جون باركر وشيخ الطريقة القادرية حول زنادقة التيجانية وبدعهم وحول المسيحيين والله وأسرار الحياة " <sup>1</sup> ثم مشهد آخر بين "جون باركر وقابيل عن إندثار الغزلان في الصحراء وذهابهم في مروحية لتمشيط جنوب الصحراء لصيد الغزلان حتى وجدوا غزالة في الجبال ومحاوراتهم حولها وقتلها في الأخير وأكلها" <sup>2</sup> ومشهد آخر بين " قابيل ومسعود وجون حول الوليمة والحجاب الذي صنعه عند الشيطان الزنجي والذي لم يصنع مثله قابيل ثم حوارهم حول شيخ الطريقة القادرية المقاطع لجون بسبب مذبح الغزال ثم نقاشهم أيضا حول أكل اللحم بدون حجاب وأن قابيل مفطوم بدم الغزال والودان روح الجبال والروح محصنة ثم أكلهم للحم في تلك الليلة وحواراتهم أيضا حول الحيوانات المنقرضة وكنوز الصحراء " <sup>3</sup> ثم نجد حوارا آخر بين "أسوف وقابيل حول الإبل وصيد الودان وشجاره معه وأخذ قابيل لسكين اللامعة في الفضاء وإعتراض مسعود له وصراخه في وجهه، إلا أن قابيل قتل أسوف ونزف دمه على اللوح الحجري للكاهن الأعظم متخندوش . <sup>4</sup>

ومنه كل هذه المشاهد عملت على تعطيل السرد بصورة واضحة فأكثر من نصف الرواية مشاهد ساهمت في توضيح الأحداث والشخصيات .

#### ب-التوقف (الوقفة الوصفية):

يعد التوقف مظهرا من مظاهر عدم التوافق بين محوري الزمن، الناتج عن تعليق

سير الأحداث والمروور إلى الوصف أو التحليل النفسي مما يحدث نوعا من القطع الزمني تطابقه ديمومة معدومة في حالة الوصف وديمومة قريبة من الصفر أثناء التحليل النفسي، وهذا يرجع إلى أن "أن الراوي عندما يشرع في الوصف يعلق بصفة وقتية تسلسل أحداث الرواية أويرى من الصالح، قبل الشروع في سرد ما يحصل للشخصيات، توجيه معلومات عن الإطار الذي ستدور فيه الأحداث ، لكن من الممكن

<sup>1</sup> -الرواية: ص116-118.

<sup>2</sup> -الرواية: ص124-130.

<sup>3</sup> -الرواية: ص132-135.

<sup>4</sup> -الرواية: ص144-147.

أن لا ينجر عن الوصف أي توقف للحكاية، إذ أن الوصف قد يطابق لحظة تأمل لدى شخصية تبين لنا مشاعرهما و إنطباعاتها أمام مشهد ما ،وهذا ما يسمى بالوصف الذاتي<sup>1</sup>.

ويفهم من هذا أن مدة تعليق الزمن أثناء الوصف حين تطول ينتج عنها وصف وتكون الصورة الوصفية هنا ساكنة ،وحين تقصر مدة التعليق الزمن تكون الصورة المتحركة وتسمى الصورة الأولى بالوصف الإستقصائي الذي يغرق في تفاصيل وجزئيات الموصوف ويكون الوصف إنتقائيا في الصورة الثانية نتيجة قلة التفاصيل لذلك أثناء التوقف يتحرك السرد أفقيا فتطول مسافته ويرواح الزمن مكانه فتؤول مسافته إلى الصفر في الوصف وإلى نقطة قريبة منه أثناء التحليل النفسي ومنه التوقف أو التعليق الزمني كما يسميه **تودوروف** "عندما يتوقف زمن القصة ويستمر زمن الخطاب عن طريق المقاطع الوصفية التي تبدو وكأنها لوحات فنية قائمة بذاتها ،يتوقف عندها المسرود له عبر الكلمات للمشاهدة والتأمل"<sup>2</sup> لا يأخذ التوقف أو الوصف إبراز الأحداث بعين الإعتبار إنما يسعى إلى الكشف عن مزايا الشخصية أو الشيء الموصوف، وبالتالي تكثر فيه الأعمال التي تدل على الحركة.<sup>3</sup>

ومنه تتحدد وظائف التوقف- بشكل عام- في وظيفتين أساسيتين :

1- الوظيفة التزينية أو الجمالية :وهي تشكل وقفة أو إستراحة للسرد ،ويكون للوصف فيها دورا جماليا محضا.

2- الوظيفة التوضيحية أو التفسيرية :وتكون للمقاطع الوصفية وظيفة رمزية لها رمز معين في الخطاب<sup>4</sup> وما تجدر الإشارة إليه هو أن التوقف وسيلة وليس هدفا كما يجب مراعاته، وهو عدم الوصف لغاية الوصف ، إنما " لأجل إضافة شيء جديد يفيد

<sup>1</sup> - سمير المرزوقي وجميل شاکر: مدخل إلى نظرية القصة، مرجع سلبق،ص90-91.

<sup>2</sup> - G erard genette: figure III, p135.

<sup>3</sup> dem: p 134.-

<sup>4</sup> - حميد لحداني: بنية النص السردی ،مرجع سابق،ص79.

السرد ويخدمه <sup>1</sup> ومنه فالتوقف من تقنيات تعطيل السرد، وسنطبق هذه التقنية على الرواية مثلا: في بداية الرواية نجد وصفا لأسوف مع التيوس فيقول "لا يروق للتيوس أن تتناطح أمام وجهه إلا عندما يشرع في الصلاة مع حلول العشية وتزحزح القرص الملتهب عن العرش في قلب السماء مودعا، مهددا بالعودة في الغد لإتمام مهمته في إحراق ما لم يستطع إحراقه اليوم، يحشو أسوف ذراعيه في رمل الوادي ويبدأ في التيمم لإنجاز صلاة العصر <sup>2</sup> وصف الكاتب الطبيعة وتعجبه من شمس الصحراء الحارة والمتربعة في قلب السماء .

كما قدم لنا وصفا للتيوس وهي تتناطح أمام أسوف عند شروعه في الصلاة ، وفي قوله أيضا : " صخرة في وادي متخدوش الصخرة تنتصب في نهاية الضفة الغربية للوادي عند إلتقائه بوادي آينسيس فيكونان معا واديا واحد عميقا، واسعا يستمر منحدرنا نحو الشمال الشرقي حتى يصب في أبرهوه العظيم في مساك ملت <sup>3</sup> حيث قدم لنا وصفا لأهم صخور وادي متخدوش و إلتقائها بوادي آينسيس فيشكل الوادي الموجود فيه مع وادي آينسيس أهم وأعمق وأوسع وادي يصب في أبرهوه حيث الوقفة الوصفية هنا تجسدت من خلال الصخور العظيمة التي تحد سلسلة الكهوف المزينة بأبداع رسوم إنسان ما قبل التاريخ في الصحراء الكبرى .

كما نجد وصفا لتحركات أسوف وزحفه بين الصخور ومسحه لطبقات الغبار الموجودة على الصخور ليرى الرسومات في قوله : " يهرب في الرمضاء، ويحتمي بتجاويف الصخور لاهثا يستلقي بعض الوقت ، ثم يزحف إلى الجدار الصخري ، ويبدأ يزيح الغبار حتى يكشف الخطوط المحفورة في الأحجار يستمر في مسح الجدران السماء حتى تطل الوجوه المقنعة أو المستطيلة أو تتضح الحيوانات <sup>4</sup> وفي قوله أيضا " قلبه يدق بسرعة وجسمه ينزف بالعرق وصل إلى الشجرة ، فاختفى الظل <sup>5</sup> وصف لنا

<sup>1</sup> - حسن بحراوي: بنية شكل روائي، مرجع سابق، ص176.

<sup>2</sup> - الرواية: ص07.

<sup>3</sup> - الرواية: ص08.

<sup>4</sup> - الرواية: ص 10.

<sup>5</sup> - الرواية: ص11.

حالة أسوف وألمه إثر سقوطه في الوادي، وفي وصفه للعجوز الطلياني إستوقف الحكي زمانا طويلا ليقدم شخصية عالم الآثار فقال "عجوز طلياني أشقر قالوا عنه إنه عالم آثار طويل القامة، نحيل الجسم، أشيب يحمي بصره من نور الشمس بنظارات كبيرة سوداء ويدون الملاحظات في دفتر لا يفارق يده"<sup>1</sup> حيث وصف لنا جسم عالم الآثار وقوامه واهتمامه بالآثار والدفتر الذي لا يفارق يده .

ونجد أيضا في قوله " من السيارة نزل رجلان ،متفاوتان في القامة والجسم أحدهما، طويل والثاني قصير الطويل نحيف والقصير بدين، متقاربان في العمر القصير يبدو أكثر حيوية ونشاطا برغم بدانته"<sup>2</sup> في هذه العبارة قدم لنا وصفا لقوام كل من قابيل ومسعود أثناء نزولهما من السيارة ،وفي قول والد أسوف عن الودان " لم أرى أقوى من قرون الودان ،ياربي ما أقوى قرونه! نزعني عن الأرض وألقى بي بعيدا ...الزبد يعلو شفثيه شعره أشيب وملوث بالروث والطين"<sup>3</sup> وصف لنا حالة الودان عند الهجوم عليه كيف يصبح شرسا وقويا خصوصا إذا أمسكته من قرنيه .

ونجد أيضا وصفا لحالة أسوف" أثناء إقتفائه أثر والده في وادي آينسيس و رؤيته لآثار المعركة وبقع الدم المتباعدة على الرمل واستنشاقه لرائحة كريهة كلما إزداد قربه من القمة المشؤمة بجوار صخرة مستطيلة أمتدت على السطح ، وجد العجوز راقدا على ظهره وجهه يتجه نحو اسماء ملامحه زرقاء ،يحوم عليه ذبابا أزرق"<sup>4</sup>.قدم لنا وصفا للمعركة التي نشبت بين والد أسوف والودان ووصفا لجثة والد أسوف،وفي قوله "إنفصل عنهم أحد الرجال ،ومشى باتجاهه فهزته الرجفة ،ووجد نفسه يقفز خلف الصخور يتقاذف كالودان بين الأحجار قاصدا الوادي ،وقف في السفح لاهثا، ملوثا بالعرق والخجل"<sup>5</sup> قدم قدم لنا وصفا لحالة أسوف النفسية عند ذهابه لمقايسة التجار وهروبه وخوفه وخجله منهم لأنه لم يعرف يوما إنسيا واحد في حياته ،ووقف المحرك القصصي للرواية وفتح

<sup>1</sup> - الرواية: ص14.

<sup>2</sup> - الرواية: ص17.

<sup>3</sup> -الرواية: ص25.

<sup>4</sup> -الرواية: ص33-34.

<sup>5</sup> - الرواية: ص38.

المجال مرة أخرى للوصف الذي يجد القارئ فيه لذة تخيل الأشخاص حقيقة أمام عينيه كما وقف مرة أخرى للوصف قوام الغزالة من خلال قول الأب" ما أجمل تكوينها ، ما أرشق قامتها! ما أنعم جسمها! السحر يفيض من عينيها، أجمل مخلوقات في الدنيا ،روح الصحراء الرملية "<sup>1</sup>حيث وصف لنا قوام الغزالة الساحر، ويظهر وصفا آخر في قوله "أحس بالحروق لأول مرة ، جسده ملتهب بالحروق ،الأحجار تسلخ جلده بالجروح ، سائل يغمر وجهه: العرق ، وسائل يغمر ركبتيه وساقيه ويديه ومرفقيه الدم أما ملابسه فقد بدأت تتمزق منذ أن بدأت المعركة في الوادي "<sup>2</sup>حيث وصف ما آل إليه جسم أسوف عند عراكه مع الودان من جروح وعرق ودم وتمزق ثيابه جراء الصخور الوعرة والقاسية والحادة حيث حصن ومأوى الودان، كما يظهر وصفا آخر في قوله "بعد ثلاثة أيام مزقت الأحجار أعضائها في تلك الرحلة الطويلة ،الرأس مهشم عاري من الشعر الأشجار نتفت الشعيرات الفضية القصيرة على رأسها الصغير ولم يبقى على الجمجمة سوى شعيرات متناثرة ،تعلوها طبقة من الطين العين اليمنى سقطت وبقي مكانها شاغرا المقلى الأخرى تلمع وتحقق في السماء وجد مع الرأس جزءا من الرقبة تعلوه طبقة من الطين... إنفصل الجسد عن الذراع "<sup>3</sup>حيث وصف لنا ما حدث مع العجوز جراء السيول التي فاجأتها وجرفت عنها عن الكهف إلى أبرهوه وما فعلته بجسدها حيث وصف لنا كيف تمزق الجسد عن بعضه في تلك الرحلة الوحشية ،وفي قوله أيضا: "<sup>4</sup>وصف لنا في هذه العبارة نمو النباتات واخضرار الأشجار بعد الجفاف الذي داهمها وكل هذا بفضل النقاء السماء بالأرض ونزول الأمطار،كما نجد في قوله أيضا : "مضى شهر على قراره فتبدلت ملامحه شحب لونه ، وذبل جسمه ،وبرزت وجنتاه وعانى من الصداع والنوبات العصبية التي تشبه الصرع ،تنتابه رعشة خفيفة ويعلوا الزيد شفتيه ويسقط على الأرض وهو ينتفض في هزات عنيفة كما تنتفض الدجاجة الذبيحة"<sup>5</sup> حيث وصف لنا حالة قابيل بعد مرور شهر على قراره بترك اللحم وذبول

<sup>1</sup> - الرواية: ص56.

<sup>2</sup> - الرواية: ص59.

<sup>3</sup> - الرواية: ص77-78.

<sup>4</sup> - الرواية: ص80.

<sup>5</sup> - الرواية: ص95.

جسمه ومرضه ومن خلال أيضا" رأو الغزلان تعبر الحدود إلى تاسيلي في مسيرات طويلة تقطع المناطق المفروشة بذلك السجاد الفظيع من الأحجار السوداء، نهشت نصيبها من الغنيمة وسلخت حوافر القطعان ... جبل الحساونة أصبح معقلا إنتقاليا للغزلان اللاجئة إلى الصحراء الجزائرية "1قدم لنا وصفا للغزلان المهاجرة والوحشية التي تعرضت لها كما تظهر وقفة وصفية أخرى في قوله "في الأفق لاحت قمة الجبل مازالت ملفوفة بالقناع الأزرق، مع تقدم النهار وعجرفة الشمس يبهت النسيج ويتحول إلى اللون السماوي ، القمة الجبلية الوحيدة في الصحراء التي ترتدي قناعا سماويا"2 وصف لنا الجبل الأزرق وتحوله إلى اللون السماوي مع سطوع الشمس ،كما قدم لنا وصفا آخر في قوله" الكهوف الظليلة تعتلي أعالي الجبال الطريق إليها يمر عبر صخور ملساء وأخرى متوحشة مسلحة بأحجار كأنياب الوحوش ...على الرمل الناعم ارتسمت آثار الأفاعي والسحالي والعظاءات والجرذان "3في هذه العبارة قدم لنا وصفا للكهوف والأحجار الموجودة فيها إضافة لآثار الحيوانات والزواحف في الرمال الناعمة ،وفي قوله كذلك" عيناها كبيرتان، سوداوان، ذكيتان، تتطقان بلغة مجهولة"4وصف الغزلة المختبئة خلف الصخور من خلال عيناها التي تحكيان بألف لغة عن مشاعرها الدفينة وهكذا قدم إبراهيم الكوني جل وصفاته للأشياء والطبيعة والشخوص والحيوانات بأدق التفاصيل فكانت طويلة كطول المشاهد ومنه هاتين التقنيتين ساعدتا في تعطيل السرد فعطلته كثيرا مقارنة مع تسريع السرد .

1 - الرواية: ص100.

2 - الرواية: ص123.

3 - الرواية: ص125.

4 - الرواية: ص126.

#### رابعاً: مستوى التواتر السردى :

هو المظهر الثالث من مظاهر زمانية الأثر الأدبي، والتواتر هو "العلاقة بين تكرر الحدث أو الأحداث المتعددة في الحكاية وعدد تكرارها في القصة"<sup>1</sup> أي عدد وقوع الحدث في الحكاية وعدد تكراره في القصة (فعلا /لفظا ) أما عند **جيرار جينيت** فهو "علاقات التواتر (علاقات التكرار ) بين الحكاية والقصة."<sup>2</sup> ويعني هذا تكرار الأحداث المسرودة في الحكاية أو المروييات السردية للرواية والتكرار هو "علاقات التواتر بين الخبر والحكاية"<sup>3</sup> لأن الخبر ليس مؤهلا للحدث فقط، بل قادرا على التكرار من جديد فنحن حين نقول "تشرق الشمس كل يوم" فعملية الشروق ليست نفسها كل صباح لكن السرد يذكرها مرة واحد كافية للدلالة على المرات الأخرى المتكررة في الحكاية.<sup>4</sup>

كما أن " التواتر في القصة هو مجموع علاقات التكرار في النص والحكاية ، وبصفة موجزة ونظرية ومن الممكن أن نفترض أن النص القصصي يروي مرة واحد ما حدث مرة واحدة وأكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة وأكثر من مرة ما حدث مرة واحدة أو مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة"<sup>5</sup> ، وهذا ما يؤكد **جينيت** في قوله بأن أي حكاية كان يمكنها " أن تروى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة، ومرات لا نهائية مع ما وقع مرات لانهاية"<sup>6</sup>

وهذه أوجه التواتر السردى في الرواية كما سنتطرق إليها مع بعض الشرح .

<sup>1</sup> - إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي(دراسة تطبيقية لرواية جهاد المحبين لجرجي زيدان)،دار الأفاق،الجزائر،(ط 1)، 1999، ص88.

<sup>2</sup> - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق،ص129.

<sup>3</sup> - Gerard Genette: figure III, p145.

<sup>4</sup> - dem:p145.

<sup>5</sup> - سمير المرزوقي وجميل شاكور: مدخل إلى نظرية القصة، مرجع سابق،ص86.

<sup>6</sup> - جيرار جينيت : خطاب الحكاية، مرجع سابق،ص130.

## 1-التواتر المفرد :

وهو أن يروى مرة واحدة ما حدث مرة واحدة "وهذا النوع من علاقات التواتر وهو بدون شك الأكثر إستعمالا في النصوص القصصية ويسميه جنيت سردا قصصيا مفردا"<sup>1</sup> ويحدث هذا حين يتعلق الأمر بحدث ثانوي ليس له دور مهم في تطور الفعل الحكائي ، وهو أيضا "ما وقع مرة واحدة عدة مرات ولا فرق بين الحالتين فالحكاية والمحكي يتطابقان."<sup>2</sup> وهذا يعني مرة في السرد ومرة في الحكاية أو مرات في السرد ومرات في الحكاية مثل :عندما طارد أسوف أشقى معزاة في القطيع فركض وراءها وأدركها عند مصب الوادي في آينسيس حيث شاهد رسومات الجني على الصخرة الضخمة فتسلقها وسقط على ظهره في الوادي وظل يتألم."<sup>3</sup>فهذا حدث وقع مرة واحدة وحكي مرة دون أن يتكرر ومثال ذلك أيضا: "علمه كيف يروض الجمال المتوحشة ويدربها حتى تصبح مطيعة كما دربه على صيد اللودان وأيضا التصويب بالبندقية بالإضافة إلى ما حدث مع الوالد أثناء صيده للودان وإنقاذ هذا الأخير للوالد من سقوط في الهاوية"<sup>4</sup>،فهذه أحداث وقعت مرة واحدة و حكيت مرة واحدة أيضا، كما نجد تواترا آخر فيما " حدث لأسوف أثناء مطاردته للودان الأسطوري وتسلقه الجبال الوعرة حتى وجد نفسه معلقا في رأس الجبل والدم ينزف من جسده"<sup>5</sup>وأیضا في: " بعدها عاف اللحم...فغزت الرائحة أنفه من مسافة بعيدة، شعر بالدوار والغثيان وأفرغ أمعاءه الخاوية"<sup>6</sup> وفي قوله أيضا " مات الأب مطعون بالسكين عندما حبلت به أمه، وماتت الأم متأثرة بلدغة أفعى بعد ولادته بأسبوع، وورثت تربيته خالته فسقته دم الغزال ومن بعدها ماتت خالته وزوجها من العطش في الصحراء فوجده تاجر و تبناه فخرس تجارته

<sup>1</sup> - سمير المرزوقي وجميل شاکر : المرجع سابق،ص86.

<sup>2</sup> - جیرار جنیت وأخرون: نظرية السرد، مرجع سابق،ص128.

<sup>3</sup> - الرواية: ص11.

<sup>4</sup> - الرواية: ص24-25.

<sup>5</sup> - الرواية: ص57-63.

<sup>6</sup> - الرواية: ص75.

ومات<sup>1</sup> وأيضاً "فيما حدث للغزاة الأم وموتها من أجل أن تتمتع وليدتها بحصن مع بني آدم من خلال أخوة الدم"<sup>2</sup>

وهذه كلها أحداث وقعت مرة واحدة وحكيت مرة دون أن تتكرر وهي تواترات مفردة.

## 2- التواتر المكرر:

وهو الذي نحكي فيه أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة وهو إجراء شائع في الرواية بالمراسلة...<sup>3</sup> كأن يكرر الراوي الخبر مرات عدة أي مرة في الرواية ومرات في السرد ومنه تعتمد بعض النصوص القصصية الحديثة على طاقة التكرار هذه أي ما يسمى بردي النص القصصي ويمكن أن يروى الحدث الواحد مرات عديدة بتغيير الأسلوب وغالبا بإستعمال وجهات نظر مختلفة ويسمي **جينيت** "هذا الشكل النصي بالمتكرر"<sup>4</sup>

ومن أمثلة هذا في الرواية نجد في "تذكر أسوف عندما جاء رجال مصلحة الآثار منذ سنوات بقافلة من السيارات وركوبه معهم للبحث عن الآثار"<sup>5</sup> وكل مرة يتذكر زيارتهما زيارتهما كما تم ذكرها بطريقة مختلفة عندما إلتقى أسوف مع قابيل ومسعود وركوبه معهم في السيارة، للبحث عن آثار الودان فركوبه ذكره بما حدث معه أثناء إلتقائه بالخبير الطلياني عندما أجلسه بجواره في سيارة مكشوفة وطلب منه أن يدلّه على الكهوف .

كما نجد تكرار في "نزول السيارة للوادي وتوقفها أمام أشجار الطلح...من السيارة نزل رجلان متفاوتان في القامة، وفي الجسم أحدهما طويل، والثاني قصير، الطويل نحيف والقصير بدين..."<sup>6</sup> فهذا حدث وقع مرة واحدة لكنه روي أكثر من مرة فنجده يقول: "أوقفا سيارتهما، ونزل طويل القامة أولاً، أشعث الشعر، شاحبا، ذابلا كأنه جاء

1 - الرواية: ص 91-93.

2 - الرواية: ص 110-113.

3 - جيار جينيت وآخرون: نظرية السرد، مرجع سابق، ص 128.

4 - سمير المرزوقي، وجميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، مرجع سابق، ص 86.

5 - الرواية: ص 13-14.

6 - الرواية: ص 17.

من رحلة طويلة، تقدم نحوه ومد إليه يدا قوية خشنة :دعنا نتعارف، إسمي قابيل آدم ورفيقي مسعود الدباشي.<sup>1</sup> "ومنه كل هذه التكرارات من غير هدف وإنما سبب وجودها لمنع إحساس القارئ بالملل عند إعادة العبارة فذكر نفس الحدث لكن بطريقة مختلفة كما إستعمل تواترا مكرر آخر في حادثة الأب مع الودان في قوله: " أدركت وادانا تائها فطارده بالمهري حتى هذه التعب...أمسكت بقرونه الطويلة فماذا إكتشفت؟ لم أرى أقوى من قرون الودان."<sup>2</sup> و أيضا في تكرار نفس الحدث مرة أخرى " فتذكر أسوف عند رؤيته لآثار العراك ووحشيته ويقع الدم المتناثرة ما قاله أبوه على قرون الودان وهل أمسك بقرنيه؟ هل فعل ما حذره هو نفسه من فعله دائما؟ قال إن لا شيء يثير جنون الودان مثل الإمساك بقرنيه، مهما كنت قويا، ومهما راودك الأمل في الإنتصار فستخسر."<sup>3</sup> وفي تذكره أيضا نفس الحادثة "عندما طارد هو أيضا ودان ولوح المشنقة إلى قرونه العظيمة فجن جنونه وساقه نحو أوعر الصخور حيث مخبأه وألقى به في الهاوية"<sup>4</sup> وهكذا تمكن الراوي من سرد نفس الحدث مرات عدة وبطرق مختلفة، وفي قوله: " عاد إلى البيت مهزوما، فسمع إتهامات قاسية من الأم ،وصفته بأنه بنت، وبكت وقالت: الذنب ليس ذنبك، المرحوم هو الذي خلق منك بعيرا يفزعه ظل الإنس"<sup>5</sup> ومرة أخرى تذكر أسوف نفس الحادثة عند ذهابه لمقايضة التجار وفزعه منهم من خلال قوله: " وقف في السفح لاهثا، ملوثا بالعرق والخجل، أمه على حق، هو بنية، الرجل لا يهرب من لقاء الرجال الحياء للبنات، أمه قالت ذلك."<sup>6</sup>

كما إستعمل تواترا آخر في قوله: " أبوك لا يريدك أن تسفك دماء الودان لأنه نذر نذرا من زمان، قبل أم تولد."<sup>7</sup> وأيضا في: " تذكر أسوف عهد الوالد عندما وجده مقتولا ثم نسيه، وطارد ودانا وجده بين القطيع وأثناء المطاردة، تذكر النذر عندما وجد نفسه

1 - الرواية: ص 41.

2 - الرواية: ص 25.

3 - الرواية: ص 33.

4 - الرواية: ص 58.

5 - الرواية: ص 37.

6 - الرواية: ص 38-39.

7 - الرواية: ص 48.

معلقا في نتوء صخرة في أعلى الوادي وساقاه تتدليان في الهاوية، فتذكر مصير الوالد ووصيته بأن خيانة العهد تعني الموت.<sup>1</sup> وفي قوله: "ثمة حياة أخرى بين الموت والحياة، ثم حالة ثالثة ليست عدما وليست وجودا."<sup>2</sup> تذكر أسوف عندما وجد أمه ميتة جراء تدفق السيول وذرعاها يمسك بشوك النجاة" إنها الحالة الثالثة تلك الحالة التي عاشها يوم تسلق الصخور وسقط على ظهره في الوادي، وهو يزحف بحثا عن قطرة ماء بين الحيلة والموت مسافة قد يعود منها المخلوق للحياة، وقد يعبرها للموت.<sup>3</sup> وفي قوله كذلك" في ذلك العام إكتظت الأودية والسهول وأطراف الجبال بالغابات والنباتات والأعشاب."<sup>4</sup> في قوله هذا كان نزول الأمطار في تلك السنة مرة واحدة لكنه بقي يتذكره يتذكره في كل تجوال له في الوديان فتذكر حادثة السيول التي قتلت الأم، وأيضا ما شمل الصحراء من إضرار جراء الأمطار الغزيرة فنما وتطور كل شيء يابس.

ثم أيضا: " أثناء رعي أسوف للغنم ومراقبته لها وكيف أصبحت نحيلة، وتذكره للعام الجميل العجيب الذي إزدهرت فيه الأغنام وسمنت وتمتعت بالحيوية والنشاط وما آلت إليه الآن حيث لم تجد حتى الروث الذي تفوح منه رائحة ذلك العام العجيب. "<sup>5</sup> وهكذا تم سرد نفس الحدث لكن لعدة طرق مختلفة ، وفي مقولة أسوف : "لم يشبع ابن آدم إلا التراب"<sup>6</sup>تذكر أسوف كل مرة قابل فيها قابيل وشراسته للحم ،مقولة والده وخاصة عند عراكه معه فظل يكررها حتى أودت بحياته ،ومنه كل هذه التوترات حكيت أكثر من مرة رغم حدوثها مرة واحدة وهي توترات مكررة.

### 3- التواتر المؤلف :

<sup>1</sup> - الرواية،ص53-61.

<sup>2</sup> - الرواية:ص72.

<sup>3</sup> - الرواية:ص78.

<sup>4</sup> - الرواية:ص79.

<sup>5</sup> - الرواية:ص80-81.

<sup>6</sup> - الرواية:ص106.

هو نموذج " نحكي فيه مرة واحدة ما حدث مرات عدة "<sup>1</sup> أي ما وقع مرات في الحكاية يحكى مرة واحدة في السرد مثل كل الأيام ، كل السنوات.

تروي مرات عديدة ما وقع مثل ذهبت وجلست ثم عدت وجلست ، ومن خلال هذا التناوب التكراري بين السرد والوقائع يتم الكشف عن أهداف أسلوبية كالتأكيد أو الإلحاح فالأول كثير"<sup>2</sup>،ومنه فالتواتر المؤلف هو الذي نحكي فيه مرات في الحكاية ومرة في السرد كأن نقول : "كل الأيام أو كل الأسبوع أوكل أيام الأسبوع نمت ساعة مريحة ."<sup>3</sup>ونجد هذا النوع من التواتر في الرواية في بعض المواضع مثل: " لم ينم ليلة واحدة بدون لحم منذ أن ولدته أمه."<sup>4</sup>فوقع هذا الحدث عدة مرات وحكي عنه مرة واحدة واحدة ويوجد أيضا في قوله:"إنتظراه عدة أيام." <sup>5</sup> وهذا عن أب أسوف حيث مرة أيام عدة لم يعد فيها إلى البيت عبر عنها بالحكي مرة واحدة، وكذلك في: " قضى أياما يقتفي الأثر"<sup>6</sup> وهذا عندما ذهب أسوف للبحث عن والده حيث قضى عدة أيام يتتبع الأثر ولم يجده، وأيضا في قوله: " جعنا معا سنوات الجفاف القاسية قبل أن تولد"<sup>7</sup> حيث وقع هذا الحدث عدة سنوات وحكي عنه مرة واحدة عندما حل الجفاف سنوات عدة في الصحراء ولم يجد أبوا أسوف ما يأكلانه .

وكذلك في: " ها هو يستأنس في السنوات الأخيرة، بعد الهدوء في أودية مساك صطفت وخلوها من الصيادين وكلاب الرعاة وبنادق المغامرين"<sup>8</sup> تم حكي مرة واحدة ما حصل مع الودان في السنوات الأخيرة، بعد وفاة الأب مرة.

<sup>1</sup> - مجموعة من المؤلفين: نظرية السرد، مرجع سابق،ص128.

<sup>2</sup> - محمد عزام: شعرية الخطاب السردية، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، (دط)،2005،ص109

<sup>3</sup> - G erard genette: figure III, p147-

<sup>4</sup> - الرواية: ص19.

<sup>5</sup> - الرواية: ص31.

<sup>6</sup> - الرواية: ص33.

<sup>7</sup> - الرواية: ص49.

<sup>8</sup> - الرواية: ص56.

وفي قوله أيضا: "مضى شهر على قراره فتبدلت ملامحه شحب لونه، وذبل جسمه وبرزت وجنتاه، وعانى من الصداع والنوبات العصبية"<sup>1</sup> في هذه العبارة حكى ما حدث مع قابيل عند ما قرر ترك اللحم مرة واحدة رغم حدوثها في عدة أسابيع، وكذلك في قوله: "في تلك السنوات، كانت الحمادة تفيض بالحياة، وتعج بقطعان الغزلان والأمطار السخية لا تتقطع طويلا"<sup>2</sup> وهنا نجد أن الراوي أيضا حكى مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة في كل تلك السنوات، وفي قوله: "وبعد مضي ثلاث سنوات على علاقتهما"<sup>3</sup> حكى الراوي مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة بين قابيل وجون باركر وعلاقتهما والأحداث التي جرت بينهما في السنوات الثلاث، وأيضا في: "الأيام التي يموت فيها الهواء وتسكن الريح تماما"<sup>4</sup> في هذه العبارة حكى الراوي عن الغزال الذي يخرج في الفجر أما في الأيام الهادئة فيتم إصطياده وهنا حكى مرة ما يحدث عدة مرات مع الغزال، وكذلك في قوله: "بعد وليمة ليلة الجمعة لم يذق اللحم مدة أسبوع"<sup>5</sup> أما في هذه العبارة حكى الراوي عن قابيل وما عاناه بعد ليلة الجمعة، ف وقعت له أحداث كثيرة طيلة الأسبوع لكنه تم التلميح لها فقط.

أما في قوله: "أما في الشهور العادية، فلا يطمع الفقراء في أن ينالوا من الذبائح فيوصدون أبوابهم"<sup>6</sup> وهنا حكى عن ما يحدث في عدة شهور للفقراء جراء اللحم فيغلقون أبوابهم لكي لا يشم أطفالهم رائحة اللحم، وبالتالي هذا الحدث قد وقع عدة مرات لكن حكى عنه مرة واحدة فقط، ومنه كل هذه التواترات مؤلفة. ومنه كل هذه التكرارات الموجودة في الرواية من غير هدف، وإنما بسبب عدم إحساس القارئ بالملل عند إعادة قراءته للعبارة لهذا تم إستعمال هذا النوع من تواترات السردية والتوتر السردية هو

1 - الرواية: ص95.

2 - الرواية: ص96.

3 - الرواية: ص97.

4 - الرواية: ص 97.

5 - الرواية: ص137.

6 - الرواية: ص138.

بمثابة إيقاع موسيقي يقف عليه القارئ ليكتشف وحده كم حدث مرة الفعل وكم روي مرة مما يجعل لذة في قراءة، كما يحس بأهمية الحدث الذي وقع.

# الفصل الثاني

## بنيّة المكان

أولاً: مفهوم المكان

ثانياً: أنواع المكان

ثالثاً: علاقة المكان بالعناصر السردية

رابعاً: أهمية المكان في الرواية

## تمهيد:

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث، وشخصيات، وما بينها من علاقات ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبّر عن وجهة نظرها ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل والممثل لمنظور المؤلف وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة للوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة.

"إن المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله."<sup>1</sup>

وبداية لا بد من الإتفاق على أن المكان في الرواية: "أيا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي، ولو أشارت إليه الرواية أو عنته، أو سمته بالإسم إذ يظل المكان في الرواية عنصراً من عناصرها الفنية، فالمكان في الرواية هو، المكان اللفظي المتخيل المكان الذي صنعه اللغة أيضاً لأغراض التخيل الروائي وحاجاته."<sup>2</sup> "فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة."<sup>3</sup> فالمكان في الرواية قائم في خيال المتلقي وليس في العالم الخارجي، وهو مكان تستثيره اللغة من خلال قدرتها على الإيحاء، ولذلك كان لا بد من التمييز بين المكان في العالم الخارجي و المكان في العالم الروائي.

وهكذا "فالفضاء الروائي أكثر شمولاً واتساعاً من المكان."<sup>4</sup> فهو "أمكنة الرواية كلها إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات"<sup>5</sup> وهو ينشأ من خلال وجهات

<sup>1</sup> - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص33.

<sup>2</sup> - سمر روجي الفيصل: بناء الرواية العربية السورية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق(دط)، 1995، ص251.

<sup>3</sup> - سيزا قاسم: بناء الرواية، ص74.

<sup>4</sup> - سمر روجي الفيصل: مرجع سابق، ص256.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه: ص 256.

نظر متعددة لأنه يعاش على عدة مستويات من طرف الراوي، بوصفه كائنا مشخصا وتخلييا، ومن خلال اللغة، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان وفي المقام الأخير من طرف القارئ، الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة.<sup>1</sup> وفي إطار التأكيد على أهمية المكان يشير **جيرار جينيت** إلى الإنطباع الذي كونه مارسيل عن الأدب الروائي: "إذ يمكن القارئ من إرتياد أماكن مجهولة متوهما على أنه قادر أن يسكنها أو يستقر فيها كما شاء."<sup>2</sup> ولا يتم هذا إلا من خلال الوصف الذي يتناول الأشياء، فيرسمها بواسطة اللغة وهو عنصر أساسي في الرواية فإذا كان السرد يروي الأحداث في الزمان فالوصف يصور الأشياء في المكان من أجل خلق الفضاء الروائي.

---

<sup>1</sup> - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص32.

<sup>2</sup> - حميد لحمداني: بنية نص السرد، مرجع سابق، ص65.

## أولاً: مفهوم المكان:

### 1- لغة:

المكان هو المسرح الذي تجسد فوقه حياة الإنسان، فهو الفضاء الذي يعيش فيه والفضاء هو المكان الواسع من الأرض والفضاء الساحة وما إتسع من الأرض، لذا نال المكان إهتماما كبيرا عند اللغويين وغيرهم:

فجاء في لسان العرب أن: "المكان الموضع وجمعه أمكنة وأماكن، قال ثعلب يبطل أن يكون مكانا فعلا لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك، وأقعد مقعدك فقد دل هذا على أنه مصدر من مكان أو موضع منه."<sup>1</sup> فالمكان يحمل معنى الموضع والمقعد الذي يقعد فيه أو يقيم به.

أما في المعجم الوجيز: "تمكن عند الناس: علا شأنه والمكان، وبه إستقر فيه ومن الشيء قدر عليه، أو ضفر به، (المكان): الموضع (المكانة): المنزلة (المكنة): القدرة و الإستطاعة، والقوة والشدة."<sup>2</sup>

ومنه فالمكان هو المكانة و المنزلة ورفعة الشأن كما يعني القوة والشدة و الإستطاعة.

أما في المنجد فهو كما يلي: "المكان: ج أمكنة وأمكن، وج أماكن: الموضع أو هو فعل من الكون، يقال "هو من العلم بمكان أي له فيه مقدرة ومنزلة ويقال "هذا مكان هذا: أي بدله"<sup>3</sup>

وهو كذلك بمعنى الكون أي مكان وجود جميع المخلوقات.

### 2- إصطلاحا:

يعد المكان عنصرا هام في بناء الرواية فيرتبط به الزمان والشخصيات و الحدث.

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص113.

<sup>2</sup> - مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1994م، ص588.

<sup>3</sup> - علي بن الحسن الهنائي الأزوي: المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 771.

فيقول محمد مفتاح: " إن الزمان بأنواعه المختلفة، إطاره هو المكان الذي ينجز فيه ولذلك فإنه لا مناص عنه."<sup>1</sup>

ومن هذا القول نجد أن محمد مفتاح يعتبر أن المكان هو الإطار الذي يتحرك فيه الزمان على إعتبار أن الرواية فنا زمنيا فيؤكد على أهمية المكان في بناء الرواية وشد عناصرها فيجمعهم في شيء واحد سواء الشخصيات أو الحدث أو الزمان آلا وهو المكان.

والمكان في الرواية هو: " مجموع الأماكن الروائية التي تم بناؤها في النص الروائي."<sup>2</sup> والتي يطلق عليها إسم فضاء الرواية، والمكان هو الفضاء: " إنه تخطيط لسلسلة من الأماكن أسندت إليها مجموعة من الموصفات كي تتحول إلى فضاء."<sup>3</sup>

ومن خلال وجهة نظر شريف حبيبة نجد أن المكان هو جغرافية العمل الفني أي الحدود التي ترسم عليها الأحداث الجارية حيث إعتبره جزء من الحدث وتابع وخاضع له كليا، يشكل به الروائي ما شاء.

أما سيزا قاسم فعرفته بأنه: " الإطار الذي تسير عليه الأحداث في الرواية."<sup>4</sup> كأنه الموضوع الذي تمثل فوقه الأحداث وتسير عليه، يشكله كل روائي حسب ما أراد و رؤاه بما يناسب أحداثه وشخصياته.

ومنه فالمكان هو الخشبة التي تجسد فوقها الأحداث وفيه تمارس الشخصيات حياتها يبني باللغة مضييفا إليه بعض التخيل الروائي بقدر ما يحتاج إليه من الخيال و تصوير المكان و" المكان عنصر أساسي في العمل الروائي، يتخذ أشكالا ويحل دلالات مختلفة، يكتشفها التحليل والدراسة وفق تصورهما يخضع لمبدأ القطبية القائمة على ثنائية

<sup>1</sup> - شريف حبيبة : بنية الخطاب الروائي،(دراسة في روايات نجيب الكيلاني)،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،

2010،ص.193

<sup>2</sup> - أحمد مرشد: البنية والدلالة، مرجع سابق،ص130.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه،ص61.

<sup>4</sup> - شريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي، مرجع سابق،ص193.

التضاد بين الأمكنة، تتقابل معبرة عن العلاقات التي تربط الشخصيات بمكان تحركها أو عيشها تبعاً للثقافة والعادات والأفكار والسلوكيات السائدة فيه.<sup>1</sup>

المكان من الركائز الأساسية في بناء الرواية يتخذ أشكالاً متعددة يشكلها الراوي حسب غايته في توصيل الفكرة والمكان.

ويعرف المكان في العمل الفني: "شخصية متماسكة، ومسافة مقاسة بالكلمات ورواية لأمر غائبة في الذات الاجتماعية، ولذا لا يصبح غطاء خارجياً أو شيئاً ثانوياً، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته، كلما كان متداخلاً بالعمل الفني.<sup>2</sup> ويمثل أيضاً بالمسافة وهي مقاسة بالكلمات وهو شيء أساسي ووعاء تزداد قيمته الجمالية كلما كان ذاتياً في العمل الفني كما يسمى أيضاً بالحيز ومن خلال المكان نستطيع قراءة أفكار المجتمعات وطريقة حياتهم وتعاملهم في الطبيعة .

### ثانياً: أنواع المكان:

#### ثنائية المفتوح والمغلق:

درس الباحثون الأمكنة دراسات متعددة وقسموها على أقسام متنوعة فكان منهم من قسمها على ذاتية وجماعية. ومنهم من قسمها على ثابتة ومتغيرة وآخرون رأوا فيها أنها نوعان أمكنة جاذبة وآخري طيارة أو أمكنة أليفة أخرى معادية ، وهكذا تعددت التسميات واختلقت التقسيمات كلا حسب مادته السردية قيد الدراسة ويرجع أحد الباحثين علة هذا التعدد إلى أن تغير الأحداث وتطورها يفرض تعدد الأمكنة واتساعها أو تقلصها... لذلك لا يمكننا التحدث عن مكان واحد في الرواية بل إن "صورة المكان تتنوع حسب زاوية النظر التي يلتقط منها"<sup>3</sup> هذا فضلاً عن دور التجربة الشخصية في

<sup>1</sup> - المرجع نفسه:ص194.

<sup>2</sup> - ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، دار الحرية، بغداد، العراق،(دط)، 1980. ص17.

<sup>3</sup> - حميد لحمداني: بنية النص السردية،ص60.

تحديد نوع المكان وخاصيته ف " الإنسان بحركته وفعله هو الذي يشكل المكان ويقيم أعمدته ."<sup>1</sup>

وفي دراستنا هذه سنعتمد على ثنائية المفتوح / المغلق.

وتتشكل هذه الثنائية من "طبيعة المكان الذي لاتحده أو تحده الحدود والحواجز والقيود التي تشكل عائق لحرية حركات الإنسان وفعالياته ونشاطاته وانتقاله من مكان إلى آخر من جهة، وتحدد من جهة أخرى طبيعة العلاقة مع الآخرين وإنفتاح هذه العلاقات أو إنغلاقها على قوانين وضوابط وشروط مسموح بها أو غير مسموح بتجاوزها ."<sup>2</sup>

فالمكان من حيث تشكيله الفني للرواية هو نوعان :فهناك ما لا تحده الحدود وهو المكان المفتوح وهناك ما تحده الحدود والقيود فيشكل عائق للإنسان ونشاطاته وممارساته وهو المكان المغلق ، وهذا الإنفتاح و الإنغلاق نابع من نفسية الساكن للمكان" فمن الناحية الجغرافية ترسم هذه الأماكن مسارا سرديا مفتوحا، فيها تحتم طبيعتها النفسية نوعان من الإنغلاق، فهو إذن إنغلاق نفسي وليس جغرافي وكذا الحال مع الأماكن المغلقة، فطبيعة الحياة فيها وإرتباط الإنسان بهذه الأماكن أو نفوره منها هي التي توضح طبيعتها...إن سعة المكان وضيقه، إنغلاقه وإنفتاحه، رهينان بالحالة النفسية أو الشعورية لساكن المكان."<sup>3</sup>ومنه فإن المكان المفتوح أو المغلق هما إضافة جمالية للمكان في العمل الفني.

## 1-المكان المفتوح:

المكان هو عنصر من عناصر البنية السردية لا يمكن أن يؤدي وظيفته المرجوة إلا من خلال العلاقات التي يبينها مع سائر المكونات السردية الأخرى مؤثرا فيها أو متأثرا بها على حد سواء، ومنه فإن المكان السردى يتمتع بخاصية تميزه عن المكان

<sup>1</sup> - شاعر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1994، ص44.

<sup>2</sup> - محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط2012، ص1، ص251.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه:ص252.

الواقعي، وهي خاصية خلقه من خلال اللغة وتشكيله الفني وهو نوعان: المكان المفتوح والمكان المغلق، أما المكان المفتوح فهو " حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق."<sup>1</sup>

المكان المفتوح هو المكان الخارجي الذي لا حدود له، ويشكل فضاء واسعا وكثيرا ما يكون موجودا في الطبيعة مثل الغابات والشوارع والهواء الطلق.

"تتخذ الرواية في عمودها أماكن منفتحة على الطبيعة تؤطر بها للأحداث مكانيا وتخضع هذه الأماكن لإختلاف بفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي."<sup>2</sup>

ومن خلال هذا القول نجد أن الروائي يتخذ من الأماكن المنفتحة جوا عاما للرواية ليستطيع أن يجول ويصوّل بأفكاره ما شاء من الزوايا والأركان والاستطاعة للوصول إلى الطبيعة لأنها الملاذ الحقيقي والأمن للإنسان.

وغالبا ما تكون الأماكن المفتوحة تمثل الطبيعة والتي هي: " ملاذ غريزي ينقطع إليه المأزوم كلما أسندت من دونه مسالك الضراء فيسقط عليه ما شاء من الدلالات والمعاني مما يطمح إليه لتهون المحنة ويخف المصاب."<sup>3</sup> فالأماكن المفتوحة من الطبيعة هي ملاذ الإنسان بما يخفف همومه ويسقط عليها ما يشاء من الرموز والايحاءات كما أن الأماكن المفتوحة تمثل الإنفتاح على العالم الخارجي وتعدد الشخصيات فيه والأحداث أيضا مما ينتج عنه تفاعل المجتمع فاتحا المجال للعلاقات الإجتماعية التي تقوم بين الأفراد ومنه سنقوم بدراسة الأماكن المفتوحة في الرواية وهي: في البداية قد لنا أول مكان حيث يرعى أسوف الغنم في قوله: " قطع صلاته

<sup>1</sup> - أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية لنفوس نائرة)،دار الأمل للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر،(دط)،2009،ص51.

<sup>2</sup> - شريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي(دراسة في روايات نجيب الكيلاني)،مرجع سابق،ص244.

<sup>3</sup> - عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)،دار محمد علي للنشر، صفاقس ،تونس،ط1، 2003، ص361.

ولعن الشيطان، وذهب ليؤدي الفريضة في مواجهة أهم صخرة في وادي متخدوش.<sup>1</sup> حيث حاول تقديم ما جرى مع أسوف أثناء قيامه للصلاة و وبدأت التيوس بتناطح أمام فلعن شيطان وغير مكانه في مواجهة أهم صخرة في الوادي كما وصف لنا مكانا آخر وهو وادي أينسيس الذي يشكل مع وادي متخدوش أهم وادي يصب في أبرهوه العظيم في "مساك ملت" في قوله: "الصخرة تصب في نهاية الضفة الغربية للوادي عند التقائه بوادي أينسيس، فيكونان معا واديا واحدا، عميقا، واسعاً، يستمد منحدرًا نحو الشمال الشرقي حتى يصب في أبرهوه العظيم في مساك ملت."<sup>2</sup> وهنا أيضا قدم لنا المكان الذي يعيش فيه أسوف و عائلته "مساك ملت" وهو المكان الذي جرت فيه معظم أحداث الرواية أولاً بالتقاءه بعالم الأثار العجوز والنصارى الذين يأتون لمشاهدة الأثار كذلك هو المكان الذي تعارف فيه أسوف بقايل ومسعود والدباشي أما المكان المفتوح الآخر الذي قدمه هو تادرات فيقول : يذكر في طفولته كيف نزلت عليهم عائلة نزحت من تادرات و إستقرت في الأودية العليا عندما أنعمت السماء على مساك بالأمطار السخية.<sup>3</sup> قدم المكان الذي نزحت منه العائلة إلى مساك ملت بسبب الجفاف في الصحراء وسخاء الأمطار على مساك.

وأیضا في قوله: " وفي مساك صطفت دربه على صيد الودان."<sup>4</sup> وفي هذه العبارة قدم لنا مكان آخر وهو مساك صطفت حيث كان أبوه يدره على صيد، كما إستعمل المكان في قوله: " أمك تعاتبني وتريدني أن أعود إلى جيرة القبيلة في أبرهوه."<sup>5</sup> حاول تقديم مكان آخر وهو القبيلة في أبرهوه حيث تعيش مجموعة من الناس وتتفاعل مع بعضها مكونه علاقات اجتماعية يخشاها والد أسوف و في قوله كذلك "ذهب العجوز في رحلة لصيد الودان في جبال مسيس."<sup>6</sup> حيث حاول تقديم المكان الذي ذهب إليه

1 - الرواية:ص:07.

2 - الرواية:ص:8.

3 - الرواية:ص:23.

4 - الرواية:ص:24.

5 - الرواية:ص:27.

6 - الرواية:ص:31.

الوالد وهو ميسيس لرسم الصورة للقارئ ومعرفته للجبل، وأيضا في : "رغبته التعاويذ المحصنة في جلود الثعابين التي جلبها له القوافل من العرافين في كانو".<sup>1</sup> قدم لنا مكان آخر حيث يوجد العرافيين وهو كانو.

أما المكان الآخر فهو: "رحلات قوافل التجار إلى السودان أو أغاديس".<sup>2</sup> حيث قدم لنا مكانيين وهم السودان وأغاديس من حيث يأتي تجار القوافل المارة على مساك ملت وكذلك في "صلاته مع أهل الواحات في وادي الأجال أو غات أو العوينات أو مرزق مقطوعة".<sup>3</sup> قدم لنا ذكر لعدة أماكن وهي الأجال، غات، العوينات، مرزق، حيث يعيش أهل الواحات والتي لا صلة لأب أسوف معهم، وفي قوله أيضا: "كأنه عبر الصحراء من تمبكتو حتى نفوسه".<sup>4</sup> فهذه أيضا أماكن مفتوحة (تمبكتو، جبل نفوسه) لكن لا علاقة لهم بمكان حدوث الأحداث وتعارف الشخصيات وإنما من أجل تشبيهه فقط.

كما نجد مكان آخر في قوله: "وجدوه يجلس تحت جدار في سوق الحدادة".<sup>5</sup> سوق الحدادة هو مكان مفتوح لا يحده حدود حيث وجد أسوف في اليوم الأول من دخوله الواحة، أما في "عندما علموا أنه نزل إلى غات أول مرة من مساك صطفت".<sup>6</sup> قدم لنا لنا مكان آخر وهو غات حيث نزل إليها أسوف أول مرة في حياته بعد الجفاف الذي حل بمساك صطفت وكان آخر لقاء له مع أهل الواحات ، كما نجد مكان في "جبل الحساونة أصبح معقلا إنتقاليا للغزلان اللاجئة إلا الصحراء الجزائرية".<sup>7</sup> حيث قدم لنا لنا مكانيين هم جبل الحساونة و الصحراء الجزائرية حيث تهاجر قطعان الغزلان الخائفة من الإبادة ، وكذلك في "وعندما إتخذو من تونس محطة عبورهم في طريقهم إلى طرابلس انفصل عن زملائه".<sup>8</sup> حاول تقديم المكانيين الذي مر بهما جون باركر

1 - الرواية: ص 31.

2 - الرواية: ص 31.

3 - الرواية: ص 32.

4 - الرواية: ص 11.

5 - الرواية: ص 83.

6 - الرواية: ص 83.

7 - الرواية: ص 100.

8 - الرواية: ص 115.

وهما تونس وليبيا، وفي ذكره أيضا لسوق القديم بإعتباره مكان مفتوح فيقول: " في أحد أيام الجمعة بجوار سور السوق القديم ."<sup>1</sup> وهو المكان الذي إتقى فيه جون باركر بالشيخ جلولي درويش القادرية.

وفي قوله: " ليلة الجمعة في وادي السدر الذي يرسم لواحتهم الجبلية حدود طبيعية مع الحمادة."<sup>2</sup> حيث وصف لنا مكان وادي السدر... برسومات في الجبل وكأنها لوحات فنية وهو المكان الذي سيلتقي فيه جون باركر ومسعود وقابيل من أجل الوليمة، وفي قوله أيضا عن جزر الواق واق: " المرأة هي المرأة رفيقها الشيطان سواء كانت من كانو أو من جزر الواق واق."<sup>3</sup>

ومنه فجميع هذه الأماكن المفتوحة يجمعها إطار مكاني واحد ومتعدد هو الصحراء حيث المكان المفتوح اللانهائي، فترى الكاتب يتجول بمنظاره ليركز في كل مرة على زاوية دون الأخرى، من صحراء هذا الواقع العربي ومنه فإن للصحراء حضور متميز عند الكون ذلك العالم الرهيب الممتد بمساحات شاسعة من الرمال الجافة المحرقة الذي عبر عنه سابقوه بمعاني السراب ، والتهيه ، والعطش ، والموت إنها عالم آخر يضج بالحياة بمختلف ألوانها عالم له تاريخ وحضارة ومعتقدات مقدسة ، له ماضي وحاضر ومستقبل فالصحراء عند الكون ليست تلك الصحراء القاحلة الشاحبة الميتة التي يلتهمها الجفاف وتغتالها الشمس الحارقة فحسب ، وإنما هي مع ذلك تمتلك جانبا مضيئا يمنحها خصوصية وتفردا ، فهي ليست مجرد مسرح للأحداث وحيز مكاني تطورت خلاله هذه الأحداث، ولكنها الى ذلك عنصر رئيسي ومحرك للأحداث والشخصيات يشترك في نموها وتطورها ويمدها بالحيوية والحياة، فتكتسب الأحداث والشخصيات في الرواية بفعله محوريتها وفاعليتها التي تمنح العمل الروائي قوة وطرافة وجدة ، وفي " نزيف الحجر " ليس هناك بطل فردي يصنع الحدث والحبكة الفنية ويشكل بمصيره البنية الروائية فالبطل هو العالم الذي يتحرك خلاله بشر الرواية محكومين

<sup>1</sup> - الرواية: ص121.

<sup>2</sup> - الرواية: ص131.

<sup>3</sup> - الرواية: ص134.

بقوانينه وطقوسه وحدوده، حيث يمثل الخروج جريمة لها عقابها المباشر المخيف الموت أو الجنون وهذا العالم شأنه شأن أي مخلوق في هذا الكون له وجهان: الخير والشر ، الصحراء الرملية والصحراء الجبلية ، الشمال والجنوب ، وعبر الكاتب عن ملامح هذين الوجهين عبر مستويين أحدهما مباشر ومألوف يمثل البنية السطحية لهذا العالم الفسيح الممتد ، أما المستوى الآخر فهو معقد متداخل متشابك يمثل البنية الضمنية العميقة لعالم الصحراء التي لا يدركها إلا ابن الصحراء نفسها .

أ-المستوى الأول: المستوى الجغرافي الطبيعي البالغ القسوة الذي يبهر في: العزلة في قلب الصحراء، وبحار الرمال التي لا تنتهي، والصخور الوحشية، وأشجار الشوك والشمس الجهنمية التي لا تنتهي، وكهوف الأقدمين التي تحمل رسومهم البدائية على جدرانها، "الشمس قاسية منذ الصباح النهار جهنم، يا ربي أين نهرب منك يا شمس الصحراء."<sup>1</sup>

وأيضاً: "إذا قررت أن تعيش وحيداً عليك أن تصطاد الودان وحيداً، هذا كالعطش كالجوع ، كالتيه، قدر العزلة قدر الصحراء."<sup>2</sup> فشمس الصحراء توقظ حتى الأموات وكل الأودية صفراء ذابلة كثيبة، وفي الصباح تبدو قاسية تتوعد وتهدد الكائنات بالتركيب والعذاب، وكل شيء يهجر الصحراء مع إقتراب الصيف، فيبقى الخلاء يعاند السراب والسكون و شعاعات الشمس، هنا يبدأ بحر الرمل العظيم الرافد الأبدى للمتاهات المجهولة، الإنسان في الصحراء لا بد أن يموت بأحد النقيضين السيل أو العطش."<sup>3</sup> فالكوني هنا يؤكد أن من لم يوهب نعمة الصبر لا مكان له في الصحراء هكذا صور لنا الكاتب الوجه الأول من وجوه الحضور المكاني، بحيث بدت فيه الأجواء القاسية والطبيعة القاهرة المألوفة في هذا المكان.

ب-أما المستوى الثاني: فتبدو فيه الصحراء نقيضاً للفراغ، هي إمتلاء بالعوالم المرئية المكشوفة، والعوالم الخفية الضمنية، عوالم متداخلة متشابكة تتجسد في ملحمة درامية

<sup>1</sup> - الرواية: ص41.

<sup>2</sup> - الرواية: ص45.

<sup>3</sup> - الرواية: ص79.

رهيبية تكشف لنا عن ملامح جديدة فريدة لهذا العالم اللامتناهي، وتقدم رؤية متميزة تعبر عن فلسفة خاصة في هذا الواقع، فلسفة يمتزج فيها الدين بالأسطورة بالتاريخ بالسياسة، ففي مقابل الصحراء الجافة والشمس الحارقة نجد الصحراء الرملية في الشمال كما يسميها أسوف والصحراء الجبلية في الجنوب تمثلان بألوان الحياة المختلفة النباتية والحيوانية:" في تلك السنوات كانت الحمادة تفيض بالحياة وتعج بقطعان الغزلان، الأمطار السخية لا تتقطع طويلا، إذا شحت السماء وبخلت بالماء الوفير هذا العام فإن شوق السماء إلى الأرض في السنة التالية ينقذ البذور من التلف والإنقراض ويحمي الأشجار البرية من الجفاف، فيأتي الخلاص تخضر السهول في الربيع فيكثر الترفاس والطيور والأرانب والغزلان.<sup>1</sup>

وأیضا في:" في ذلك العام إكتضت الأودية والسهول وأطراف الجبال بالغابات والنباتات والأعشاب، رأى أشياء لم يرها من قبل ، وذاق أعشاب لم يذوقها من قبل وإستغرب أين تخفي الصحراء بذور هذه النباتات.<sup>2</sup> كذلك نجد تراث كل الأديان متشابكا ومختلفا "أنهى صلته وألقى رأسه إلى الوراء متابعا الجدار العملاق المنتصب فوق رأسه ،كبير الجن يباركه، نظرته الغامضة من خلف القناع تنطق بالرضا والسكينة."<sup>3</sup>لم يدري أسوف أنه أخطأ الإتجاه فلم يوجه ركعاته نحو الكعبة وإنما نحو الصنم الحجري المنتصب فوق رأسه في قعر الواد العميق .

فضلا عن العلاقة المحورية التي يقودها الودان روح الجبال مع الشخصوس الرواية التي تلعب الأساطير والخرافات والمعتقدات المقدسة عند قبائل الطوارق دورا بارزا ومهما في تشكيلها وتحريكها داخل الحدث الروائي، وتقودها إلى مصيرها المفجع الموت الدموي أو الجنون ،فحينما خرج الأب على الأعراف والمواثيق المقدسة وطارد الودان روح الجبال ذلك الحيوان الأسطوري إلى حد فقد فيه الحيوان الأمل في النجاة إنتحر الودان دون أن تختفي من عينيه تلك النظرة الغريبة مزيج من الشقاء والحقد والعجز .

<sup>1</sup> - الرواية: ص96.

<sup>2</sup> - الرواية: ص79.

<sup>3</sup> - الرواية: ص13.

بمثل هذا الإتقان والموهبة الإبداعية إستطاع الكوني أن يوظف التراث والأسطورة في هذا العمل الروائي بشكل إتخذ منحى شموليا أضفى على النص جمالية وفنية وثناء فريدا ومميزا، أبرز حسه الغني ووعيه العميق بتفاصيل عالمه الروائي ودقائقه.

## 2-المكان المغلق :

وهو المكان الذي يكتسي طابعا خاصا من خلال تفاعل الشخصية معه، ومن خلال مقابلته لفضاء أكثر انفتاحا واتساعا، وأيضا هو الذي ينتقل فيه الإنسان ويشكله حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عصره، وينهض الفضاء المغلق كتنقيض للفضاء المفتوح، وقد تلقى الروائيون هذه الأمكنة وجعلوا منها إطارا لأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم .

ومنه فالأماكن المغلقة فهي التي ينتقل ويعيش الإنسان وسطها وبشكلها حسب رغبته والعصر الذي يعيش فيه كالبيت والمسجد فهو يبينهما بشكل هندسي يروق له ويرتاح فيه وهي عكس المكان المفتوح الذي ربما يكون طبيعية.

والمكان المغلق "يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح فهي الملجأ والحماية التي يطلبها ويأوي إليها الإنسان بعيدا عن ضجة الحياة".<sup>1</sup>

فالمكان المغلق يمثل الحيز الذي تحده حدود مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه محدودا ويكون ضيقا بالنسبة للمكان المفتوح وهي مطلوبة ومحبوبة عند الإنسان لأنها الملجأ والحماية والأمان الذي يأوي إليه الإنسان عندما يحدق به الخطر أو يمتلكه الملل من ضجة الحياة مثل: البيت العائلي أو الغرفة أو المدرسة...ومنه فإن معظم الروايات تجري في الأماكن المغلقة لأنها المكان الذي يعيش فيه الإنسان لكن نجد العكس في رواية "نزيف الحجر" حيث أن الأماكن المغلقة لم تأخذ إلا جزء صغير في الرواية بينما الأماكن المفتوحة أخذت الحيز الأكبر، والأماكن المغلقة في الرواية بداية المكان الذي يعيش فيه أسوف وعائلته من خلال قوله: "عاد إلى البيت

<sup>1</sup> - أوريدة عبود: المكان في القصة الجزائرية الثورية، مرجع سابق،ص59.

مهزوما.<sup>1</sup> وهنا البيت هو المكان المغلق حيث يعيش أسوف وعائلته فهو الملجأ والمكان الذي يلجأ إليه في نهاية اليوم وهو المكان الذي يأوي إليه عند الخطر، وفي قوله أيضا: "لقد خبأ بضع رصاصات في كهف الصيادين." <sup>2</sup> وهنا الكهف هو المكان الآمن و المغلق الذي يخبئ فيه رصاصات.

كما جاء بنا الى مكان آخر وهو: "كيف إجتمع ثلاثتهم حول الموقد يتدفأون بالنار في كهف الرعاة." <sup>3</sup> فقدم لنا المكان الذي يعيش فيه أسوف وعائلته في فصل الشتاء وهو كهف الرعاة.

أما المكان المغلق الآخر فهو" و إختار أن يزور حلقة الذكر. " <sup>4</sup> فهذا أيضا مكان مغلق حيث أن حلقة الذكر تكون في مكان مغلق مثل الزاوية أو المسجد أو مكان خاص من الأماكن الدينية .وكذلك مكان مغلق في قوله: " ففي الجامعة ردد أمام كارولين جملة غامضة إستعارها من تعاليم الزن." <sup>5</sup> حيث قدم الجامعة بإعتبارها مكان مغلق يحوي مجموعة من الطلبة من أجل التعلم ومن بينهم جون باركر وكارولين ،وفي قوله أيضا: " إذ رافقه مرة إلى حفلة نكر مزق فيها المجذبون وجوههم وصدورهم." <sup>6</sup> فقدم لنا المكان الذي ذهب إليه جون باركر برفقه الشيوخ جلولي وهو مكان مغلق أقيمت فيه حفلة لزنادقة التيجانية وبدعهم التي يسيئون بها لتصوف والإسلام أما مكان آخر وهو: " عد أيام ذهب إلى مكتبة القاعدة بطرابلس." <sup>7</sup> فالمكتبة هي المكان المغلق حيث يوجد الشخص ويتنقل فيها حسب رغبته والمكان الذي ذهب إليه جون باركر للبحث عن معلومات بشأن الودان.

1 - الرواية: ص37.

2 - الرواية: ص32.

3 - الرواية: ص47.

4 - الرواية : ص115.

5 - الرواية: ص116.

6 - الرواية : ص117.

7- الرواية: ص 135.

ومنه فالأماكن المغلقة تعددت في الرواية بين البيت ، الكهف، الجامعة، الحلقة المكتبة فهي الأماكن التي إنغلقت وإنعزلت فيها الشخصيات عن العالم الخارجي الذي تمثل في الصحراء.

ثالثا: علاقة المكان بالعناصر السردية:

### 1- الزمن:

"إن باختين حين إستعار مصطلحه الشهير كرونوتوب chrono tope من الرياضيات الفيزيائية وهو مصطلح منحوت من المصطلحين chorographie (وصف الزمن) و topographie (وصف المكان) <sup>1</sup>، كان يعي جيدا ما بينهما من صلة وطيدة تجعل من وصف أحدهما وصفا للآخر، وبما أن السرد يتعلق بالأحداث والزمن والوصف يتعلق بالمكان، فإن في بحث علاقة الوصف بالسرد بحثا في علاقة المكان بالزمن ومن هنا فالقصد بالعلاقة بين الوصف والسرد على مستوى الزمن، هو علاقة المكان والزمن في الوصف وهي علاقة تتبع من طرق معالجة الموصوف، حيث هناك طريقتان: الأولى تخضع العملية الوصفية لحركة الزمن، والثانية تفرغه منها، مما يجعل الوصف بالكيفية الأولى وصفا للفعل والحركة (وصف متحرك)، وبالكيفية الثانية وصفا للأشياء الثابتة (وصف ساكن) وهو ما يسمى ب:

أ- الصورة السردية (الوصف المتحرك)

ب- الصورة الوصفية (الوصف الساكن)

والفرق بين الصورتين: أن خضوع الموصوف في الصورة السردية لدفع حركة الزمن يقحم الوصف في السرد فيلتحم بمستوى القص ويتحول بدوره إلى سرد، مما يؤدي إلى "تزمين" الموصوفات من الأشياء والأمكنة، أما في الصورة الوصفية، فإن الموصوف ينفلت من قبضة الزمن مما يؤدي إلى "تمكين" الزمن، علما أن المراد بالحركة والسكون

1 - Henri Mitterand: (Chronotopies romanesques), Poétique, Seuil, n°81 1990 p89.

ليس حركة الشيء في الطبيعة، ولا حركة القائم بالوصف، لأنه يمكن للواصف والموصوف أن يكونا متحركين، إلا أن الوصف يبقى ثابتاً.

والنص السردي يتنازعه توتر دائم بين السرد و الوصف، حيث تمثل الصورة السردية وقفة داخلية في زمنية القصة، مما يجعلها تحمل وظيفة بنائية، بينما تمثل الصورة الوصفية وقفة لا تنتمي لزمنية القصة، فيكون الوصف حاملاً لوظيفة تزينية، وهو التوتر الذي يشبه المعركة تبدأ بغزو الوصف للنص، يليه رد فعل معاكس من السرد الذي يعمل على إستعادة قواعده في النص، ويكون سلاح المعركة الصفات والنعوت من جانب الوصف والأفعال من طرف السرد، إلا أنه لا يمكن تصور وجود مقطع سردي خال تماماً من الوصف، لأن الأفعال في حد ذاتها يمكن أن تكون حاملة لصورة وصفية وفي رواية "تزييف الحجر" سبق التوصل إلى تحديد مكان (فضاء) أوكل الكاتب وصفه حيث يأخذ داخل السرد وضعية الراوي المشارك وهو ما لا يسمح ب بروز مقاطع نصية معزولة عن زمنية القصة، إذ جاء وصف الأمكنة والأشياء مقحماً في خطاب الشخصيات سواء كان الخطاب معدل الصيغة اللفظية أو محافظاً على حرفية التلفظ ومع طغيان اسلوب السرد المشهدي كانت الأشياء والأمكنة ،الطبيعة الصحراوية المناخ القاصي في الصحراء لا توصف إلا مقرونة بالحدث وهو ما يفيد بأن الوصف في الرواية يميل الى الوصف المتحرك حيث أن الوصف لم يكن مركز على الأشياء في حد ذاتها وإنما على الحركات والإيماءات التي من شأنها رصد ملابسات الحدث ،ففي شروع أسوف للصلاة التي دعى اليها الرواي ،ورغم انه جلس ليصلي إلا أن الوصف لم يكن على الصلاة وإنما كان رسدا لكل سكنات وحركات أسوف المتعلقة بطريقة شروعه للصلاة وعراك التيوس أمامه "يحشو أسوف ذراعيه في رمل الوادي ويبدأ التيمم لانجاز صلاة العصر... في اللحظة التي يكبر فيها ويتمم بالفاتحة ...حركت التيوس اليوم سببتها معزاة لعوب ..قطع صلاته، ولعن الشيطان وذهب ليؤدي الفريضة في مواجهة أهم صخرة في متخدوش ...أنهى صلاته وألقى برأسه الى الورااء متابعاً الجدار العملاق المنتصب فوق رأسه ... نهض ليضم شتات المعيز قبل وصول السياح"<sup>1</sup> وهكذا نلاحظ

<sup>1</sup> - الرواية : ص7-ص13.

كان شروعه في الصلاة يجري على خشبة مظلمة وأن هناك شعاع واحد من الضوء مسلط على أسوف فقط، و منه هذا الوصف يضفي جمالية فنية في عملية السرد عند الكوني.

كما نجد يقول في مقطع آخر حول لقاء قابيل مع أسوف "وتقدم منه الرجل الآخر ذو القامة الطويلة لوح له من بعيد محبباً، فتشجع أسوف وتقدم نحوه إلتقيا في منتصف الطريق شد على يده بحرارة، وقال ضاحكا: إذن هو أنت الجني أسوف الذي أثار العيش في الخلاء الخالي...سارع يعدل من وضع لثامه على وجهه...إرتبك أسوف مرة أخرى فسارع يداري ريكته بشد أطراف اللثام على وجهه، فلاحظ الرجل ضيقه فطمأنه...غرق الرجل في ضحكة طويلة...تصاعد الدم الى وجنتي أسوف البارزتين ولم يدري ماذا يفعل بيديه وعينيه، إنتقل الإنفعال الى أطرافه فبدأ يرتجف إلتفت أسوف نحوه، فرأى في عينيه بريقا غريبا...إستمر يرتجف...ضحك زميله البدين تتم أسوف بسداجة يا حفيظ الى هذا الحد تحب اللحم؟ قال طويل القامة وهو يقطق بأسنانه وعيناه تلمعان...هز أسوف رأسه بالنفي، وتألفت عيناه بالقلق، فأضاف الرجل ضاحكا صرخ أسوف في هلع...تراجع أسوف خطوتين إلى الوراء...صمت أسوف لحظات...وسارع يدس رأسه في شجيرة يابسة وبدأ يتقيأ...عاد الى أغنامه وهش الجديان وأعادها الى الكهف الكبير رأهما يتفقدان الرسوم على الصخور العالية بلا مبالاة، يشيران بين الحين والآخر نحو اللوحات، ويغرقان في قهقهات عالية... عاد بحزمة من الحطب، ألقاه البدين بجوار الخيمة وصرخ نحو أسوف...سوف نذهب لتفقد الوديان قفز في السيارة ونطلق عبر الوادي"<sup>1</sup> وفي هذا نلاحظ أن الوصف لا يقف على تفاصيل الأشياء، وإنما على تفاصيل الحركات والإيماءات الدقيقة وهذه التقنية تشبه في سنيما تقنية التصوير عن قرب وبهذه الكيفية أصبح الوصف في "نزيف الحجر" يحمل بعدا سرديا من خلال إلتصاقه بالزمن، كما يظهر في مقطع آخر "أبوك لا يغيب بلا سبب،واقنقى أثره لم يكن والده مسلحا...ولكن الوالدة همست له في غيابه: لا تصدقه،لقد خبا بضع رصاصات في كهف الصيادين...ضحك يومها وتذكر ما قاله له مرة...دق قلب أسوف وهو يرفع

<sup>1</sup> - الرواية: ص17-22.

رأسه إلى القمة العالية وأحس أن ثمة شيئاً سيحدث هنا ... ركض عبر الوادي الضيق وصعد السفح الشرس في وثبات سريعة...قفز قلبه و إستولى عليه الغثيان... إزدادت رائحة العفن ووجد العجوز راقداً على ظهره .<sup>1</sup> وفي هذا أيضاً يلحظ أن الوصف وقف على تفاصيل حركات أسوف وأحاسيسه أثناء رحلة البحث عن والده.

وكذلك في: "وجد نفسه يتناول عصا وحبل ،ويتسلل الى قلب الوادي...إستمر يتشبث بالحبل والودان ينفذ رأسه في حركات عصبية محاولاً التخلص...إستمر يتقافز فوق النتوءات والصخور...إستمر يحضن بذراعه الصخور السوداء الملساء الملتهبة... وفي لحظة أخرى إستعان بصرخة...ركض خلفه بخطوات سريعة... قفز في الهوة المجهولة في أسوأ مكان...وبعدها بلحظة واحدة قصيرة كومضة البرق وجدا نفسه معلقاً في نتوء صخرة في أعلى الجبل... ظل قلبه يخفق بسرعة...إلتفت يمينا ويسارا متفقدا المكان... حاول مرارا أن يبتلع ريقة لاجود لريق حركة اليدين أصبحت بطيئة إمتص المزيد من الدم، من جروح ذراعيه وعندما لم يجد ما يمتص ، نهش يديه بأسنانه ليتمتص منها الدم والرطوبة... لم يعد يستطيع أن يبدلها تناوباً على التشبث بالنتوء انتهى كل شيء...وسمع خطوات فوق رأسه هل هو وهم من أوهام الموت...صوت أقدام تدرج أحجار الطريق هل هذا معقول؟ قبض على الشيء حبل ،حبل الليف الخشن لم يصدق ، أمسك به بكلتا يديه تعلق به...استمر الجسم يتحرك ،يجره من فم الهاوية ،لا من صدره النتوء فأحس أن كل الجبال التي كانت ترقد على صدره قد انزاحت مرة واحدة رآه يرفع رأسه الضخم المتوج بالقرنين الخرافيين ."<sup>2</sup> وفي هذا نلاحظ أن الوصف يميل إلى الوصف المتحرك حيث كان مركزاً على حركات وإيماءات أسوف التي من شأنها رصد ملابسات الحدث الذي وقع له مع الودان، وفي مقطع آخر عراك أسوف وقابيل حول الودان يركز الراوي في وصفه على حركات الشخصية التي أمامه فيقول: "سمعت أبي يقول إن ابن آدم لن يشبع إلا بالتراب...إندفع نحو البدوي وصرخ بغضب، ماذا تريد أن تقول يا راعي الغنم؟ تراجع أسوف خطوات إلى الوراء...بدأ

<sup>1</sup> - الرواية: ص31-34.

<sup>2</sup> - الرواية: ص57-70.

أسوف يرتجف ،وغزا ظهره عرق بارد ،هدد قابيل بقبضة يده ولوح بها في وجهه حتى لامس عمامته الشاحبة...فتح أسوف فمه ولما لم يجد ما يقوله فتذكر العبارة القاسية ببلاهة: لن يشبع ابن آدم إلا التراب، حينما قال ذلك هجم عليه قابيل أولاً، ثم لحقه مسعود...إنتهى من تقييد يديه ورجليه ثم وضع يديه في خصره وصرخ إذا كنت وليا حقا كما يقولون ففك القيد واهرب إلى الجبل.<sup>1</sup>

وأیضا في: " قرع قابيل رأسه بقبضته وصاح في مسعود...أزاح يده بشراسة وصرخ...غارت عيناه في المحجرين فإزدادتا شراسة وقوة...ضحك قابيل بجنون، وقال ملوحا بالسكين اللامعة في الفضاء...ضرب رأسه بنصل السكين وترنح ، نهض مسعود و إعترض طريقه ، فدفعه ووجه له قابيل طعنة تحاشاها في آخر لحظة...وقف قابيل تحت قدمي أسوف...إستدار قابيل لكي يصعد الصخرة، فحاول مسعود إعتراضه...لوح قابيل بالسلاح في الهواء فتراجع مسعود...ضحك في وجه الشمس الوحشية، ثم إنحنى فوق رأس الراعي المعلق، أمسك به من لحيته، وجر على رقبتة السكين بحركة خبيثة...لم يصرخ أسوف ،ولم يعترض، ولكن مسعود هو الذي صرخ ألقى القاتل بالرأس فوق لوح من الحجر في واجهة الصخرة، فتحركت شفتا أسوف وتمتم الرأس المقطوع المفصول عن الرقبة، لا يشبع ابن آدم إلا التراب، تقاطرت خيوط الدم على اللوح الحجري...قفز مسعود في السيارة.<sup>2</sup>

وفي هذين المثالين يلحظ أن الوصف لا يقف على تفاصيل الأشياء وإنما وقف على تفاصيل حركات كل من أسوف ، قابيل ومسعود، ومنه فالوصف أصبح مجالا خصبا لتوليد الدلالات، والمكان مكون سردي له أهمية في بناء الرواية كما أن قيمته وأهميته لم تعد تقس بمدى حضور مقاطع الوصف كما ومساحة إذ أصبح الوصف لا يهدف إلى جعل القارئ يرى الأشياء، وإنما أصبح يحطم الأشياء حسب آلان روب جرييه "كان فيما مضى يهدف إلى أن يجعل القارئ يرى الأشياء، أما الآن فيبدو أنه يحطم

<sup>1</sup> - الرواية: ص105-107.

<sup>2</sup> - الرواية: ص144-146.

الأشياء.<sup>1</sup> أي أن صورة الأشياء والأمكنة لاتعطي دفعة واحدة كما في الرسم والتصوير الفوتوغرافي، إنما أصبحت توجد مجزأة ولا يمكن تركيب أجزائها سوى لاحقاً في ذهن القارئ بعد إنتهائه من قراءة الرواية مع مساهمته في ملء ما يتركه الروائي من فراغات بواسطة الخيال.

## 2- الوصف:

تعد الشخصية مكوناً أساسياً في السرد، بلا شك، إذ لا يمكن تصور وجود حكاية بلا شخصيات، فالحكاية بإعتبارها مجموعة أحداث يستدعي تحققها وجود شخصية واحدة على الأقل، ورغم أن هذا البحث لا يشتغل على الشخصية كمكون سردي، ولكن تجنباً لكل ما من شأنه أن يؤثر على تحليل بناء المكونات الأخرى، موضوع الدراسة في هذا البحث إرتأينا هنا التطرق إلى العلاقة بين الوصف والسرد على مستوى الشخصية إنطلاقاً من أن الوصف يعد أسلوب تقديم كل من الشخصية والمكان.

وبما أن المكان يقيم عدة تقاطعات من خلال الوصف، مع الشخصيات والأحداث فلا شك في وجود صلة بين الوضعية الوصفية للشخصية والوضعية السردية لها، إذ أن غزارة ما ينتج من وصف حول شخصية ما أو ما تنتجه هي حول شخصية أخرى أو حتى حول نفسها سيمناها وضعية سردية متميزة بطريقة أو أخرى عن الوضعية التي تحتلها في السرد في حالة عدم التركيز في غزارة الوصف، إذ أن كثافة الوصف المسلطة على شخصية ما في موضع نصي ما ، من شأنه أن يخلق مفصلاً في السرد إذ يمكن أن تحتل شخصية أقل تبئير في الوصف مكانه في السرد أهم من المكانة التي تحتلها شخصية أكثر تبئير بالنسبة إليها، ومن هذه التعقيدات التي يطرحها الوصف، في إرتباطه بالزمن والشخصية والمكان تتضح خطورة هذا العنصر الذي أصبح يحمل وظائف بنائية ودلالية لا تتكشف إلا في إطار هذه العلاقات وداخل سياق الرواية فقط وقبل التطرق إلى تصنيف الشخصيات الروائية في "نزيف الحجر" إلى واصفة وموصوفة، لابد من الإشارة إلى أنه سيتم إعتقاد ما يعتبر وصفاً للشخصية كل

<sup>1</sup> - آلان روب جريبه: نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ط1، 1998، ص130.

ما تعلق بوصف فكرها أي "وصف فكر الشخصية ثم وصف إنفعالاتها وحركاتها، ثم وصف مظهرها الخارجي، ثم وصف جسمها"<sup>1</sup> حيث أن تجميع هذا الوصف هو الذي يمكن من إستخراج صورة وصفية كاملة لشخصية من شأنها المساعدة على إعطاء فكرة عن وضعها السردي، سواء من حيث دورها في السرد أو حتى في الدلالة وهذه تصنيفات بالوضعيات الوصفية للشخصيات داخل السرد حيث نجد في هذه رواية شخصيات تصنف وتوصف من بينها: "أسوف، ووالد أسوف، قابيل، مسعود الدباشي الغزالة، الراوي".

أما عن الشخصيات التي توصف ولا تصف فنجد: "جون باركر، من قاعدة هويلس وعالم الآثار الطلياني، بورديلو كابتن إيطالي، الزنجي كابتن الطائرة، وليدة الغزالة الحكيمة." ومن الشخصيات التي لا تصف ولا توصف نجد: "أم أسوف أهل الواحات تجار القوافل." ومن هذه التصنيفات التي تعد مسحا للوضعيات الوصفية لكل شخصية روائية في هذه الرواية، نلاحظ أن شخصيات الصنف الأول هي التي تحظى بالمكانة الأهم في السرد الروائي، بينما شخصيات صنف الثالث لا يكاد وجودها من عدمه يؤثر في مسار السرد، ثم تليها شخصيات الصنف الثاني التي تكاد تكون مجرد قرائن وضعت لتأكيد ما سبق ذكره في السرد، ومنه فالشخصيات التي توصف هي التي تبوأ الوضعية الأهم، مقارنة بالشخصيات التي تصف وإذا قارنا الصنفين بالصنف الأول يتبين أن الوصف في "نزيف الحجر" يعطي الشخصية كذات (واصفة) أهمية أقل منها كموضوع (موصوف)، وهذا ما يؤكد ما تم حصره من تميزات، إذ نرى أن الشخصيات التي يصفها أسوف ليست هي الشخصيات التي يصفها الراوي بإستثناء قابيل ومسعود الدباشي، وفي إطار محور الراوي/أسوف نلاحظ من جهة أخرى أن الشخصيات التي يصفها الراوي أكثر من الشخصيات التي يصفها أسوف أي أن أسوف يوصف أكثر من الراوي ويصف أقل منه وهو ما معناه أن أسوف بالنسبة للراوي يعد تجربة مكتملة بينما شخصية الراوي تعبر عن تجربة في إطار التبلور، حيث أن

<sup>1</sup> - فليب هامون: سمبولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار ، الرباط، المغرب، (دط)، 1990، ص10.

الشخصية أسوف" تدخل في علاقات مع مجموعة كبيرة من الشخصيات الأخرى حيث أن نمط تبادل الوصف فيما بينها جميعا يعبر عن نمط في التعامل، وليس هذا العدد من الشخصيات إلا من أجل دلالة على عمق التفاعل وغنى التجربة التي عرفنها مع شخصية أسوف<sup>1</sup> بينما شخصية الراوي من خلال" العلاقات التي تربطها ببقية الشخصيات"<sup>2</sup> كما أن قابيل يصف أسوف إلا أن الراوي يصفه أكثر منه، ومن كل هذا يتأكد أن شخصية الأساسية في" نزيف الحجر" هي أسوف، وأن الشخصيات الأخرى تتدرج تصاعديا من حيث الأهمية حين تكون موضوعا للوصف أكثر مما حين تكون ذاتا وإذا عدنا إلى أسوف كشخصية محورية نجدها على مستوى الحكاية تصف أكثر مما توصف وهو ما يدل على إكتمال تجربته أما خارج محوري الراوي/أسوف فالشخصيات لا تتبادل الوصف بإستثناء قابيل الذي يوصف أما على مستوى الحكاية فإن معظم الشخصيات تتبادل الوصف أما عن الإستثناء الذي يمثله قابيل آدم من حيث تقدمه في الوصف فهذا يعني أنه يمثل تجربة مكتملة، وهو ما جعله يأخذ في السرد مكانة هامة مقارنة بشخصيات الأخرى، حيث هو الشخصية الوحيدة التي تقف ندا للشخصية المحورية أسوف زيادة على ما يثيره الواحد منها من تناقض حول نفسه" فهو يعترف بحبه للحم وكرهه للصحراء"<sup>3</sup>، كما يعترف هو بكرهه للحم وحبه للصحراء"<sup>4</sup> وهو ما يؤكد على الصراع بينهم.

أما من حيث المقاطع الوصفية المتعلقة بالمكان فنجد العنوان "نزيف الحجر" يحمل بعدا مكانيا يتعلق بالقيمة الجغرافية المهمة للصخرة داخل الفضاء الواسع للصحراء فهو المكان الشاهد على تعاقب الحضارات، لذلك يأخذ الفضاء الروائي بعدا جغرافيا إن كان يصف دلالات المكان في العمق ويوجه القارئ إلى معالم معروفة ومنتظمة لها تاريخها وآثارها الباقية حيث ترى جوليا كرسستيفا:" أن عبارة فضاء الجغرافي تطلق على بعض البيانات الحسابية التي تظهر خلال مرحلة تاريخية مرتبطة بأيدولوجيا العصر الذي

<sup>1</sup> - سامي سويدان: أبحاث في النص الروائي العربي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، (دت)، ص147.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ص147.

<sup>3</sup> - الرواية: ص19، ص41.

<sup>4</sup> - الرواية: ص49، ص75.

يميز تلك المرحلة.<sup>1</sup> فيتم وصف المكان الجغرافي في نزيه الحجر بطريقة هندسية واعية تشبه ما يقدمه عالم الآثار الذي يكتشف أسرار الحقب الجيولوجية المتعاقبة للمكان، لذلك يستعين السارد بحاسة المشاهدة العينية التي تنقل التفاصيل الدقيقة للقطعة الأثرية الموصوفة، ففي بداية الرواية يقدم السارد وصفاً فنياً دقيقاً للرسوم التاريخية التي تزين الصخور، والكهوف الصحراوية لكن هذا الوصف ليس منفصلاً عن خط الأحداث بل يرتبط بالمواقف السردية المهمة للنص، ففي مفتح الرواية يبدأ السارد موضوع العلاقة الحميمة التي تربط بطل الرواية بالحجر التاريخي حيث تعرف أسوف إلى الصخرة منذ صغره، وإهتم بالبحث عن شروحات للرسوم الحجرية التي تمثل بؤرة المحكي فكان الدفاع عن قداستها سبباً في موت البطل وإعلاناً عن نهاية القصة، إن الرسوم التاريخية شاهدة على عصر ما لذلك فهي تؤدي وظيفة أنثروبولوجية تتعلق بهوية شعب الطوارق داخل فضاء الصحراء الكبرى وهذا ما أراد السارد أن يعبر عنه في وصف دهشة الطفل الصغير أسوف أمام النصب الحجري الشاهد على التاريخ "الرسوم تزين صخور الجبال والكهوف في الأودية الأخرى في كل مساك صطفت."<sup>2</sup> وقد إكتشفها في صغره" عندما كان يهده الجري خلف القطيع الشقي فيلجاً للكهوف ليستظل من الشمس ويتسلى بمشاهدة الرسوم."<sup>3</sup>

لقد إعتنى إبراهيم الكوني بكشف المعالم الصحراوية الواقعية في الرواية إلى جانب إهتمامه بطابع التخيل الذي يميل إلى التجريد، وبعث الفكر الأسطوري في الكشف عن القيمة الأنثروبولوجية للمكان والتي تتعلق بالمعتقدات السائدة في المنطقة، كما أن شساعة الفضاء المكاني للصحراء وقسوة مناخها تنذر سكانها بالتيه والضياح والقحط لذلك تعد رواية الكوني في عالم الصحراء مخيلاً سحرياً وأسطورياً لإنجاز هذه المدونة السردية كما تعتبر مدونة سياحية لمنطقة جغرافية معروفة قام السارد فيها بذكر أسمائها وأبعادها المكانية في طابع تخيلي حكائي جعلتها مكاناً يختلف عن الممكنة الأخرى.

<sup>1</sup> Gulia kreteva: le tescte du romar, dition The Hague , Paris ,1970.p182.-

<sup>2</sup> - الرواية: ص 09.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 09.

### 3- الشخصية:

إن إعتبار الشخصية مكونا أساسيا من مكونات النص السردي قد بات شيئا مفروغ منه، لكن ما علاقة هذا المكون بالمكان؟ وكيف يكون المكان مرآة عاكسة لطباع الشخصية؟ وكيف تؤثر طبيعة المكان في حياة الشخصية؟

وفي دراستنا هذه سنوضح العلاقة بينهم والدلالات التي يحملها المكان من خلال وصف الشخصية له، ذلك أن وصف شخصية معادية ليس كوصف شخصية غير معادية بمعنى أن المكان من خلال وصفه يصبح حاملا لمواقف ووجهات نظر إذ نجد في نزيف الحجر أن الصحراء تمثل جوهر الصراع ومحور الأحداث حيث تشد إليها وبقوة شخصيات الرواية من خلال علاقات متداخلة متشاركة، ذات أبعاد متباينة، لها أثر كبير في تطور أحداث الرواية، وتنامي مشاهد التشويق والإثارة، ووصول الحدث الروائي إلى ذروته، ومن تشابك هذه العلاقات وتنوعها وتداخلها ينبثق الصدق الفني والوعي الجمعي ليجسد القيم التي تحملها الرواية، وتظل الصحراء هي الدائرة التي تحتوي كل هذه العلاقات وتؤلف بينها وتوجهها صوب رؤية محددة وهدف مشترك فالعلاقة وثيقة وأصيلة بين الصحراء والإنسان، إذ أن الإنسان يشكل ثلاث صور في هذه الرواية وفق سياقاتها المختلفة وهي:

أ- ابن الصحراء

ب- غريب عنها

ج- أجنبي لا يمت إليها بصلة

أ- علاقة الصحراء بابنها:

يقول والد أسوف: "الصحراء كنز مكافأة لمن أراد النجاة من إستعباد العبد وأذى العباد، فيها الهناء، فيها الفناء، فيها المراد." <sup>1</sup> فهذا الإنسان الذي ينبثق من جوف

<sup>1</sup> - الرواية: ص24.

الصحراء وترعرع فيها، أسرارها يفضل حياة العزلة والحرية في عالمها على حياة الذل والأذى في

عالم البشر، يقول: "هناك الأذى و الذل، وهنا الحرية والموت."<sup>1</sup> أما أسوف فقد إرتبط بالصحراء، أحبها، قدسها لأنها زرعت فيه القوة، والصبر، والقيم النبيلة، فالصحراء لا تقسو وتأخذ فقط بل تعطي وتزرع والصحراء القاحلة تزرع! و تزرع في القلب لتمنح إبنها القوة والنبيل، و الصبر سر الوجود في الصحراء، جمع كل قوته في يديه، جمع قوته الخفية التي زودته بها الصحراء طوال هذه السنين وزرعتها في قلبه، قوة الرجل ليست في جسده، إنها في قلبه.<sup>2</sup> "ابن الصحراء في أحلك اللحظات ساعة صارع الموت على حافة الهاوية لم يلعن الصحراء ولم يتناول أبدا عليها، فهي التي إحتضنته عندما فرمن أذى الناس، وهي التي زرعت فيه القوة والنبيل والطهارة عندما فتح له الموت فاهه على حافة الهاوية تذكر الصحراء وشعر بالأسى لأنه لن يراها ثانية " قريبا سينتهي كل شيء... سينتهي الألم والعطش... سيختفي كل شيء، ستغيب الصحراء الأبدية، لن يرى الغزلان مرة أخرى، ولن يشاهد السراب يتراقص في الأفق، ما أقسى أن تغيب الصحراء! كيف سيحتلم فراق الصحراء أسوأ شيء بعد عذاب الوالدة هو ألا يشاهد الصحراء الخالدة حتى تختفي في رحاب الله."<sup>3</sup> إنها علاقة حميمة فهو جزء منها وهي بعض منه. لقد إستطاع الكاتب أن ينطق الصحراء لتبوح بأسرارها، وتفصح عن مكنوناتها على لسان أسوف الصوت الرئيسي في الرواية، فهو صوت الصحراء، صوت الحرية الخالصة المحكومة بالموت، هو الناطق بآلامها وعذاباتها، المعبر عن بساطتها ونقائنها الذي يكشف لنا عوالمها المبهمة الغامضة، ويطلعنا على قوانينها ومعتقداتها وطقوسها المقدسة هو وحده من يملك مفاتيح عالمها الأبدي، ووحده القادر على قراءة أبجديتها الفريدة المحفورة على الصخور، وهبته سرها فوهبها حياته، علاقة لها أبعاد نفسية وإنسانية عميقة إختزلها الكاتب من هموم أبناء هذه الصحراء ومن ذاته، ومن تمازج الإثنين (داخل الكاتب والعالم الخارجي)، إستطاع صوت أسوف الوصول إلى

<sup>1</sup> - الرواية: ص66.

<sup>2</sup> - الرواية: ص65.

<sup>3</sup> - الرواية: ص69.

أعماق القارئ والتعبير عن الوجدان والوعي الجمعي لمجتمع هذه الصحراء، بقدره تفوق قدرة أي خطاب أدبي مجرد.

ومنه فإن الصحراء آثرت في حياة الوالد وأسوف وحتى في طباعهم الشخصية فنجد أن الوالد عاش معزولا عن الناس بعيدا عن أذى الخلق فمات أعزلا وحيدا لا أحد ينقذه في صراعه مع الودان وكل هذا من أجل الحرية والأمان وهو نفس المصير الذي لقيه ولده أسوف على يد قابيل كما نجد أيضا أن الصحراء آثرت في طباع أسوف بسبب عزله وعدم مجاورته للإنس فأصبح خجولا ولا يعرف فن مخاطبة البشر، فمثلا في إلتقائه بقابيل ومحاورته له "لم يعلق ولكي يداري إرتبأكه سارع يعدل من وضع لثامه على وجهه"<sup>1</sup> وأيضا في لقائه مع تجار القوافل القادمة من السودان وهروبه منهم وفزعه وخوفه "إنفصل عنهم أحد الرجال ومشى بإتجاهه، فهزته الرجفة، ووجد نفسه يقفز ويتوارى خلف الصخور، كالودان، بين الأحجار، قاصدا الوادي، وقف في السطح لاهتاملوثا بالعرق والخجل أمه معها حق، هو بنية، الرجل لا يهرب من لقاء الرجال، الحياء للبنات أمه قالت ذلك... عاد على عقبه، وإختبأ خلف الصخرة رأى الرجال يتضحكون."<sup>2</sup> ومن هذه الأمثلة نلاحظ أن أسوف ووالده شخصيتين غير معاديتين للمكان الصحراء.

كما نجد بعض الشخصيات الثانوية والتي ليس لها دور مهم في تغيير مسار السرد مثل: عالم الآثار "لقد رأى في عينيه، وفي معاملته للأحجار المرسومة، رأى كيف ترتجف أصابعه عندما تلامس جدارات الكهف المرسوم بخطوط الأقدمين... ويمسح تراب وطنين عن الوجوه المحفورة في الصخور الصماء."<sup>3</sup> وفي هذا المثال نلاحظ أن عالم الآثار الطلياني مهتم بآثار الصحراء التاريخية من خلال إهتمامه بالرسومات المحفورة على الصخور والتي تعبر عن آلاف السنين من الحضارات ووقوفه طويلا أمامها وهو يتفرج عليها ويبتسم لها كما تفيض الدموع من عينيه أثناء مشاهدته للوشم

1 - الرواية:ص:18.

2 - الرواية:ص:38-39.

3 - الرواية:ص:86.

الحجري وكل هذا حب في المكان وآثاره وليس طمعا ونهبها لها وهذا يتجلى من خلال توصيته لأسوف بحراسة الكهوف من الأجانب الذين يسرقون الآثار ويبيعونها بثمن غالي في بلادهم، وأيضا في إهتمام الشيخ جلولي بالصحراء وثرواتها دون التمتع بها "فمنذ أن علم الشيخ بأمر مذابح الغزلان، قاطع جون، وأمسك عن مصافحته، ورفض الرد على تحيته، وبعث له بالوعيد واللعنات مع الوسطاء." <sup>1</sup> وفي قول جون باركر حول مقاطعة شيخ الطريقة القادرية له " ما زال مصرا على القطيعة، لم يغفر لي مذابح الغزال، قال لي أني لست من دين عيسى ولا دين عيسى مني، يتحاشى لقائي." <sup>2</sup> وفي هذين المثالين يتضح حب الشيخ جلولي للصحراء وثرواتها وتأثيرها فيه وفي طباعه حتى إعتزل عن نعيمها وقاطع كل من يضر بالصحراء ويفني خيراتها، حتى لو كان صديقه.

ومنه فالشخصيات التي ذكرت سابقا شخصيات غير معادية للمكان الصحراء آثرت فيه وتأثرت به، إلا أن هذا لا ينفي وجود بعض الشخصيات المعادية له والتي ستظهر من خلال علاقة الصحراء بالإنسان الغريب وعلاقتها أيضا بالأجنبي.

#### ب- علاقة الصحراء بالإنسان الغريب عنها:

قابيل آدم، الشخصية المحورية الثانية في الرواية، وهو غريب عن الصحراء ولا يخفى علينا ما وراء الإسم من رمز يذكرنا ببداية الشر على الأرض عندما إرتكب قابيل ابن آدم أول جريمة له في تاريخ البشرية بحق أخيه هابيل.

وأحداث الرواية تبرهن على ذلك من خلال سمات الشخصية التي تحقق الملائمة بين الإسم والمسمى، فقابيل في رواية نزيف الحجر هو رمز الشر والدموية، ومصدر الأذى، أكل اللحم الذي لم تعرف الصحراء أشرس منه سفاحا يعيش على سفك الدماء إذا لم يأكل لحما كل يوم فإنه سيأكل نفسه لا محالة.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 121.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 133.

هذا الإندفاع المجنون لرؤية الدم أنهارا تغمر الصحراء جعله يرغم أسوف على أن يرافقه في رحلة بحثه عن مخابئ الودان، وأسوف يحاول أن لا يقول شيئا، ويسير به نحو التيه لكن قابيل يصيح بغضب: "الجد جد واللعب لعب، لقد حرمتنا من لحم الودان يومين في حياتي لم أصبر يومين على اللحم." <sup>1</sup>فهو مهووس بأكل اللحم إلى درجة الإدمان، وكما قال الدرويش: "إذا حلت مصيبة واندثر الغزال في الصحراء ولم تبقى سوى شاة واحدة فلا شك أن قابيل سيكون أكلها." <sup>2</sup>وأیضا: "في فم هذا المخلوق دودة تجعله يأكل نفسه إذا لم يجد لحما يأكله." <sup>3</sup> فقابيل بأنانيته وحبه المريض للحم أخدم نبض الحياة في الصحراء، قتل أجمل المخلوقات فيها، أباد قطعان الغزلان البرية بوحشية لم تقوى حتى الصخور على إحتمالها، إن الرغبة في القتل وسفك الدماء متأصلة في هذا الإنسان قال له أحد العرافين ذات يوم: "يا قابيل يا ابن آدم لن تشبع من لحم، ولن تروى من دم حتى تأكل من لحم آدم وتشرب من دم آدم." <sup>4</sup>

ولذا فإن علاقة الصحراء بهذا الإنسان الغريب، تأخذ منحى عبر الذي رأيناه في علاقتها بأسوف، فهذا الإنسان غريب عن الصحراء لا يفقه لغتها، ولا يحيط علما بطبيعة أسرارها ولا يحمل لها أي عواطف إنسانية لذلك نصيبها العداة وأظهر لها الكره وعبر عن ذلك العداة والكره بشن حربه الشعواء ضد معالم الحياة المتحركة في الصحراء، فكانت النتيجة آفا من الضحايا وأنهارا من الدماء، أفضت إلى إنقراض قطعان الغزال والودان من هذه الصحراء قال الضابط الأمريكي لقابيل مرة: "أنت لا تحب الصحراء الشيخ جلولي الذي يعتبره شيوخ بلدتكم درويشا يقول إن الماء يطهر الجسد والصحراء تطهر الروح، لم أرى فيكم أخلص منه للصحراء برغم أنه لا يتمتع بخيراتها ولا يأكل غزلانها، أنت يا قابيل تأكل الغلة وتسب الملة والصحراء لم تطهرك لأنك لم تعشقها." <sup>5</sup>ذلك هو قابيل شخصية سلبية تجاه الواقع، حاول الكاتب من خلالها

<sup>1</sup> - الرواية: ص41.

<sup>2</sup> - الرواية: ص117.

<sup>3</sup> - الرواية: ص 117.

<sup>4</sup> - الرواية: ص92.

<sup>5</sup> - الرواية: ص120.

التطرق إلى بعض الجوانب الخفية من السلوك الإنساني المتجه نحو تدمير ما لا يشبهه من الكائنات الأخرى، شخصية تمقت الماضي وتسيء إلى الحاضر وتتنظر بلا مبالاة إلى المستقبل هكذا صور الكاتب العلاقة السلبية التي ربطت قابيل بالصحراء وكشفت عن فقدانه للإنتماء وخوائه الفكري والثقافي، ولا منطقية مما يقوم به من أفعال تجاه ذاته والأخرين والطبيعة، ونلمح ذلك من أول لقاء تم بين أسوف و قابيل عندما أخبره أسوف بأنه يرى المسلمين لأول مرة في الصحراء فرد عليه ساخرا: "ومن قال لك إننا مسلمون عندما لاحظ ضيق أسوف طمأنه قائلاً: أنا أمزح نحن مسلمون برغم أننا لا نصلي ولا نركي ولم نحج إلى بيت الله مرة واحدة، ولما سأله أسوف، هل جئتما لمشاهدة الآثار؟ أجابه ضاحكا: الآثار؟ وما عسانا نفعل بالآثار؟ ألا تعرف أننا بحد ذاتنا آثار؟ نحن مثلك آثار تزار، يأتي الأوروبيون من وراء البحار ليتفرجوا علينا ويشاهدوا حياتنا، فهل رأيت أثرا تهمة الآثار؟"<sup>1</sup>

بهذا جسد الكاتب علاقة التناقض بين شخصية قابيل وشخصية أسوف التي تمثل مرحلة وعي متقدمة للواقع الإجتماعي تصل إلى الذروة بموت أسوف على يد قابيل فحياة قابيل منحت الموت لروح الصحراء المتمثلة في الغزال والودان، أما موت أسوف فقد بث الحياة في أرجاء تلك الروح ولهذا فإن الكاتب بث رؤيته المتمثلة بالقوى المتناقضة في الواقع لإستمرار الحياة، وإعطائها مسارها الطبيعي ومنه فشخصية قابيل معادية للصحراء رغم حبه لخيراتها فأثرت فيه سلبا في حياته وطباعه حتى "وصل به نهمة للحم إلى حد قتل أسوف وإبادة قطعان الغزلان وقتل أخته بالدم وأكلها."<sup>2</sup>

### ج- علاقة الصحراء بالأجنبي:

علنيا و مع بداية أحداث الرواية في أول لقاء له مع الصحراء بتواضع كبير كعادة الغرب داما- بيدي إحترامه وتقديره لما تحتويه هذه الصحراء-صحراء الشرق- من تراث وحضارة قال عنها مسعود: " صحراؤنا مأوى لكل الكنوز بما في ذلك

<sup>1</sup> - الرواية: ص18-19.

<sup>2</sup> - الرواية: ص130.

الحيوانات المنقرضة.<sup>1</sup> ويظهر جون باركر رغبة في التعلم إثر إهتمامه بالطرق الصوفية، ثم يتطور هذا الغري مع تطور الأحداث فيفصح عن نواياه الشريرة ويتحرك في إتجاه مضاد للتراث والحضارة، وبناء على ذلك نلاحظ أن علاقة الصحراء بالأجنبي إتخذت بعدين مختلفين:

**1- البعد الأول:** علاقة إنسانية مبنية على الإعجاب والتقدير تصل إلى درجة الإنحناء إجلالا أمام جمال حضارة هذه الصحراء وعظمتها المحفورة على الصخور ببررها الكاتب من خلال جماعات السياح والعلماء الذين جاءو لمشاهدة النقوش والرسوم الملونة التي تزين صخور الجبال والكهوف " أصبح قبلة للسياح النصراني يأتونه من أبعد البلدان يسيرون الصحراء بسيارات برية ليشاهدوا الحجر ويفتحوا أفواههم دهشة أمام عظمته ،وجماله وغموضه بل إنه رأى في إحدى المرات امرأة أوروبية تركع أمام صخرة على ركبتيها وتتم بكلام مبهم.<sup>2</sup> وتتجلى هذه العلاقة أيضا في شخصية خبير الآثار الطلياني ومن خلال إحساس أسوف إتجاهه: " قال لنفسه إن هذا النصراني لا يشبه أولئك النصراني، هل قال ذلك لأن النصراني لم يقتل الودان أم لأنه أعطاه الهدايا والمعلبات؟ لا لا قال ذلك لأن إحساسه أوحى له أن هذا الشيخ الأشيب يحب الصحراء لقد رأى ذلك في عينه وفي معاملته للأحجار المرسومة رأى كيف ترتجف أصابعه عندما تلامس جدارات الكهف المرسوم بخطوط الأقدمين ، في تلك اللحظة يفيض من عين بريق غامض.<sup>3</sup>

**2- أما البعد الآخر:** فإنه يتضح بتطور أحداث الرواية حيث يتحول هذا الأجنبي إلى مستعمر ينتهك حرمة هذه الصحراء وينشر فيها الدمار، في البداية الإستعمار الإيطالي الذي غزى الشمال وزحف نحو الجنوب ، ثم الإستعمار الأمريكي الذي يمثله الضابط جون باركر إذ بأدواته تموت كل رموز الحرية موتا وحشيا ، وهي أدوات وثيقة الصلة بقبيل آدم آكل اللحم الذي لايشبعه الا التراب كما يقول له أسوف، لقد قدم الضابط

<sup>1</sup> - الرواية: ص135.

<sup>2</sup> - الرواية: ص8.

<sup>3</sup> - الرواية: ص86.

الأجنبي لقبايل أجمل هدية -من وجهة نظره- قدم له وسائل القتل والدمار ليمارس هوايته الوحشية وهي إصطياد الغزال والودان" ثم أهدى له جون باركر آلة شيطانية أخرى، مع دخول بنادق الخرطوش إلى الصحراء تضاءلت فرصة الغزلان في النجاة وأشرفت القطعان على الإنقراض والفناء، يذكر أنهار الدم التي سفحها بعد حصوله على هذا السلاح.<sup>1</sup> وفي هذا نلاحظ أن جون باركر المعادي لصحراء ينهب خيراتنا تحت عباءة البحث عن سر الوجود، في الحيوانات من خلال دعمه لقبايل بكل وسائل لتمشيط الصحراء بحثا عن بقايا قطعان الغزلان التي أبادها وجعلها تهجر الوديان وتلجأ إلى قمم الجبال، وهو أمر يخالف طبيعتها الملتصقة بالسهل الممتد في الصحراء وهنا يلفت الكاتب إنتباه القارئ بطريقة ذكية إلى قضية في غاية الأهمية هي أن الغرب الذي يمثله جون باركر وبوسائله الخاصة يدفعنا إلى أن ندمر حضارتنا وتراثنا وثقافتنا برضانا وبأدواته، الأجنبي الذي يدعي المدنية والتحضر زود قبايل-رمز الشر في الرواية-بالوسيلة والأداة كي ينشر الفناء ويقتل روح الحياة في الصحراء، هذه الحقيقة يؤكدها الكاتب على لسان قبايل نفسه في حوار بينه وبين جون عندما قال: "أنت أكبر مجرم دخل هذه البلاد، من أدخل اللاندروفر و الخرطوش والجنادب الطائرة إلى الحمادة غيرك؟"<sup>2</sup>

وأیضا: "إذا قمت بإيادة الغزلان فبفضل مساعدتك، زودتني بالسيارات وبنادق الخرطوش، وأكلت من الغنائم نصيبك وأكثر من نصيبك أنت الذي أبدت الغزلان في الصحراء بعد أن صدعت رأسي بالخرافات عن الأسرار الإلهية المدسوسة في لحم الحيوان المسكين، أنت أكبر مجرم ، تغازل الغزلان وتصفها بالبراءة، وتتهش لحمها مدعيا البحث عن سر لا وجود له إلا في رأسك الكافر، الدودة التي تدغدغ أسنانك أشرس من الدودة في أسناني".<sup>3</sup> تلك هي ملامح العلاقة التي ربطت الصحراء بالأجنبي الغربي، علاقة سلبية لها أبعاد وتأثيرات تدميرية هدامة ومنه فالصحراء أثرت في حياته

1 - الرواية : ص99.

2 - الرواية:ص133.

3 - الرواية:ص120.

من خلال تعلمه لصوفية، إلا أنها لم تؤثر في طباعه فدمرها بسبب فكره وجشعه وطمعه.

#### رابعاً: أهمية المكان:

إن المقصود بالمكان في الرواية هو الفضاء التخيلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويصنعه كإطار تجري فيه الأحداث وهو لا شك مكون أساسي من مكونات النص الحكائي لم يعد يعتبر مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، بل أصبح ينظر إليه على أنه "عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني، وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي".<sup>1</sup>

إن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها، إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث "لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك فالراوي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني، غير أن درجة هذا التأطير وقيمه تختلف من رواية إلى أخرى"<sup>2</sup>، ومن هذا القول يتبين أن تشخيص المكان هو الذي يجعل من أحداث الرواية بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع، فهو الذي يعطيها واقعيتها فكل فعل لا يمكن تصوره ووقوعه إلا ضمن إطار مكاني وهذا ما ذهب إليه هنري ميتيران" عندما إعتبر المكان هم مؤسس الحكوي".<sup>3</sup>

وفي إطار تأكيد على أهمية المكان يشير جرار جينيت إلى الإنطباع الذي كونه مارسيل بروسست "عن الأدب الروائي إذ يتمكن القارئ دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهما على أنه قادر بأن يسكنها إذا شاء"<sup>4</sup> وهنا يؤدي ذكر المكان الى توسيع خيال القارئ ليسكن أماكن مجهولة .

<sup>1</sup> - شريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 194.

<sup>2</sup> - حميد لحداني: بنية النص السردي، مرجع سابق، ص 65.

<sup>3</sup> - إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، الجزائر، (دط)، 2002، ص 34.

<sup>4</sup> - المرجع سابق: ص 34.

إن تحديد المكان لا يؤدي دور الإيهام بالواقع فقط عندما يصور أماكن واقعية" فهذا الأسلوب في التصوير مرتبط بإتجاه الروائي المتميز وهو إتجاه واقعي وهذا الإتجاه نفسه يخلق أيضا أمكنة متخيلة تؤدي الدور نفسه ، وتمارس على القارئ تأثيرا مشابها رغم عدم واقعيتها الفعلية"<sup>1</sup>، كما أن المكان لا تقتصر أهميته على الإيهام فقط بل يؤدي إلى معرفة الواقع واكتشاف أماكن حقيقية كما أن ذكر المكان يساعد على معرفة العوامل والأسباب التي أدت إلى هذا النتاج الأدبي بالنسبة للروائي من خلال المعاني التي يعطيها وحتى الكشف عن الشخصيات التي يوظفها في الرواية، أما عن العلاقات التي يقيمها المكان مع سائر مكونات النص الحكائي المكتوب ،فتتجلى من خلال تحليل البنية الزمنية الداخلية للرواية يحتاج فيها نقطة انطلاق في الزمن تسمى الإفتتاحية ووظيفتها هي تقديم الخلفية الزمانية والخلفية المكانية للأحداث والشخصيات قصد إدخال القارئ عالم الرواية التخيلي تحت سلطة الإيهام بالواقعية.

ويفهم من هذا أن الرواية تحتاج نقطة إنطلاق في الزمن ونقطة إندماج في المكان يسند للأولى تنظيم حركة الأحداث في الزمن ،وللثانية تنظيم حركة الشخصيات في المكان وهذا الأخير هو الفضاء الذي يؤطر كل أحداث الرواية، وبما أن الحدث محكوم بإحداثيتين الأولى تتعلق بإندماجه في الزمن، والثانية بإندماجه في المكان وإذا كان الزمن يدرك نفسيا وبطريقة غير مباشرة من خلال أثره على الأشياء، كما أن المكان يدرك حسيا بطريقة مباشرة، فهذا معناه رغم تباين طريقتي الإدراك هاتين فإن هناك علاقة بين هذين العنصرين إنطلاقا من أن الأشياء الحاملة لفعل الزمن فيها هي نفسها المادة الخام التي تدخل في بناء المكان في الرواية ،وهو ما يجعل من " وصف الأمكنة والمشاهد الطبيعية وصفا للزمن"<sup>2</sup> أي أن الزمن يمتد بعدا في المكان وهي الفكرة التي يشير إليها غاستون باشلار في معرض حديثه عن العلاقة الموجودة بين الزمن والمكان هو أن الزمن متواجد ومخزن في المكان ولما أن للزمن صلة بالمكونات الأخرى للحكاية من حدث وشخصيات، فمن الضروري أن تكون لها هي الأخرى صلة

<sup>1</sup> - حميد لحمداني: بنية النص السردي، مرجع سابق،ص66.

<sup>2</sup> - فليب هامون: سميولوجية الشخصيات الروائية، مرجع سابق، ص10.

بالمكان كما يرى تودوروف: " هذه العلاقات تتقاطع وتتفاعل بكيفيات معقدة بما يعطي الرواية بنيتها الشكلية والدلالية."<sup>1</sup>

ومنه المكان في الرواية الحديثة أصبح مشارك أساسي في خلق المعنى و باعثا له، بل إنه "إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"<sup>2</sup> ومنه فقد أصبح للمكان وظائف أعمق من شأنها تحديد جنس الكتابة النصية وطبيعتها واتجاهها في كثير من الأحيان، ومنه فالمكان هو عنصر من عناصر البنية السردية لا يمكن أن يؤدي وظيفته المرجوة إلا من خلال العلاقات التي يبينها مع سائر المكونات السردية الأخرى مؤثرا فيها أو متأثرا بها على حد سواء وإضافة إلى ما سبق فإن المكان السردية يتمتع بخاصية تميزه عن المكان الواقعي من جهة وعن المكان في الفنون الأخرى من جهة أخرى، وهي خاصية خلقه من خلال اللغة و إعطائه جميع المزايا التي تستطيع اللغة أن تزوده بها .

وفي هذه الرواية "نزيف الحجر" يسعى الكوني من نشر أسماء الأمكنة في مثل: الرواية مصايف، ومساك صطفت، ومساك ملت، ومناطق تاسيلي وفزان، وتمبكتو، غات أغاديس، كانوا "لبعث الذاكرة لمناطق طبيعية غير معروفة للعرب أنفسهم"<sup>3</sup>، ولعل الكوني يسعى من وراء ذلك إلى تأكيد أهمية المكان وسيادته في العمل الروائي لا سيما أن الزمن ترفضه الصحراء، ولا تؤمن بوجوده إلا في اللحظة التي يكون فيها ومع ذلك يحسن بنا أن نتذكر أن العنصر المكاني لم يكن من العناصر الرئيسية في الرواية بل "بدا مجرد زخرف، وكان المهم هو الزمن"<sup>4</sup>، إلا أن المكان أصبح عند روائي القرن التاسع عشر عنصرا رئيسيا، ولذلك لم يحظ المكان بدراسات كثيرة شأنه شأن العناصر الفنية الأخرى كالزمن مثلا، ويتوجب علينا أن ننظر إلى الصورة المكانية في الرواية

<sup>1</sup> - تزفيتان تودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار بوقال للنشر، الدار، البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص31.

<sup>2</sup> - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص33.

<sup>3</sup> - آلان روجن: قراءة في رواية نزيف الحجر، ترجمة غازي مسعود، مجلة الجديد في عالم الكتب، عمان، العدد10، 1996، ص13.

<sup>4</sup> - محمود حسني: المكان في رواية زينب، علامات في النقد، جدة، السعودية، العدد1998، 27، ص206.

(المكان ) لا على أنها تشكيل للأشكال والألوان فحسب ، وإنما على " أنها تشكيل يجمع مظاهر المحسوسات من أصوات وروائح وألوان وأشكال وظلال"<sup>1</sup>، لذلك فلعل أبرز وظيفة للمكان في النص الروائي هي الوظيفة التفسيرية، فقد ينفذ الروائي من خلال الصورة الوصفية والسردية إلى حياة البشر الذين يصنعون الأحداث ،فيظهر من خلال ذلك "مدى التفاعل بين الشريحة الإجتماعية وطبيعة المكان ،وقد يعكس المكان نفسية الشخصية ويكشف عن هويتها وأنماطها"<sup>2</sup>،فالوصف أصبح العنصر الأساسي في الرواية الجديدة ،ولكنه إتخذ وظيفة سردية خاصة بحيث يخدم السرد، ويقوم الوصف بوظيفة الإيهام إذ يدخل في العالم التخيلي، وكما يقدم الوظيفة التفسيرية مثل وصف المدن والمنازل والأثاث والأدوات ...الخ، فالمكان يعطي الهوية الشخصية، إذ يعطيهم إحساسا بالمواطنة وإحساسا آخر بالزمن، فهو يحمل في طياته تاريخ بلادهم ومطامح شخوصه فبدا كيانا نلمسه ونراه، إضافة إلى أن المكان يتجاوز ذلك الحيز الجغرافي ليصبح محركا رئيسيا في النص الروائي .

ويقول الكوني عن سبب كتابته هذه الرواية أنه رأى إعتداءات الناس على تلك الرسوم الجميلة الموجودة في الكهوف وفي أعالي الجبال مما دعاه إلى توجيه الناس إلى أهمية تلك الرسوم ،وقد أبرز ذلك أهمية المكان وما يمثله من صور للوجود الإنساني ولذلك "يصبح المكان الأداة الأكثر إستيعابا لمعاني النص وفنيته ،إضافة إلى أن العمل الأدبي يفقد أصالته وخصوصيته إذا إفتقد عنصر المكان"<sup>3</sup>، والواقع أن تسليم الانسان بإستقراء المكان وثباته ووعيه بديمومته النسبية و إستمراره من القضايا التي تكسب الأدب الجديد إلى التركيز على أهمية المكان بعدا شديد الثراء والخصوصية، لأن هذا الأدب لا يتعامل مع المكان باعتباره موقعا للحدث أو بعدا جغرافيا، وإنما غايتنا تناوله كجوهر ، بالصورة التي يصبح فيها المكان البطل الرئيسي للعمل ،أو الموضوع الأساسي للمعالجة" وتكتسب معها علاقته بالشخصيات أبعادا فنية فلسفية جديدة"<sup>4</sup>، فالعلاقة التي

<sup>1</sup> - سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق،ص80.

<sup>2</sup> - محمد شوابكة: دلالة المكان في مدن الملح، أبحاث اليرموك، الأردن ،عدد2،(دت)،ص10.

<sup>3</sup> -غاستون باشلار: جماليات المكان ،ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد،العراق،(دط)،1980،ص71.

<sup>4</sup> -حافظ صبري: الحساسية الجديدة و إستخدامات المكان،مجلة الأعلام،بغداد،العراق،العدد11و12،1986،ص72.

قامت بين "أسوف" والمكان "الصحراء" تجاوزت فيما نظن ،حدود المكان العادي ،إذ أصبحت علاقة فلسفية جديدة إتحد فيها دم أسوف مع الرسوم الواضحة على سطح الصخرة ليشكل كلا واحدا وفق رؤية فلسفية جديدة لهذا المكان، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة ،"فمكان الرواية ليس المكان الطبيعي كما أن الزمن ليس زمان الساعة"<sup>1</sup>، ولذلك فدراسة المكان في الرواية تشكل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه، "ولما كان المكان والزمان في العالم الروائي التخيلي متلازمين، أوهما توأمان ،ويعد المكان بمثابة وعاء الزمن"<sup>2</sup>، فإن الصحراء حيث المكان المفتوح اللانهائي يثير في النفس الأمن و الإطمئنان في نفس أسوف إلا أنه لا يعترف بوجود الزمن، لأن الصحراء لا يههما الزمن أصلا وبسبب الوحدة التي يعيشها أسوف في تلك الصحراء /المكان /الحرية /اللاحدود .

ولذلك يصبح المكان في الرواية" ليس مظهرا تزييني، ولكنه جزء أساسي من هندسة الرواية ومعماريتها بإعتبار أن المكان في حركة أخذ وعطاء مع شخصيات الرواية وأحداثها"<sup>3</sup> إن ما يؤكد عليه باشلار هو " أن المكان في الفن ليس مكانا هندسيا خاضعا لقياسات مساح الأراضي بل هو مكان عاشه الأديب كتجربة ،فالمكان يعيش في داخل جهازنا العصبي كمجموعة من ردود الفعل"<sup>4</sup> ، فالكوني يعيش المكان الذي ينقلنا إليه ونستطيع أن نتخيل هذه الصحراء بلهيبها ونارها المتوهجتين، في هذا الفضاء الواسع ،فالرواية "تزييف الحجر" تعبير عن " المكان وعن تألق المكان وشخصه، وهو يعبر عن جدلية العلاقة بين المكان المتمكن (الانسان )،وهذه الجدلية تصل إلى حد التوحد في بعض الأحيان"<sup>5</sup>، ويتحقق النضر الزماني إلى المكاني من خلال مفهوم التحولات، ومن أهم خصائص هذا المفهوم التحولات ما يمكن تسميته وحدة الذات، أو كلية الذات التي

<sup>1</sup> - سيزا قاسم: بناء الرواية، مرجع سابق،ص216.

<sup>2</sup> - محمود حسني: المكان في رواية زينب، مرجع سابق،ص216.

<sup>3</sup> - شاکر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، مرجع سابق،ص96.

<sup>4</sup> - غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب، لبنان،العدد2، 1980،ص76.

<sup>5</sup> - حافظ صبري: الحساسية الجديدة، مرجع سابق،ص71.

تأسس كل محولة للقولبة والتحديد، فتظهر كأنها تنقسم على نفسها فتزدوج وتتوزع في كائنات أخرى وفي عناصر عدة<sup>1</sup>، ولا بد أن يوظف المكان في النص الروائي " حتى يغدو جزءا ماديا ونفسيا من الشخصية والحدث، إذ يلتحم الانسان بما حوله ليشكل إمتدادا عضويا متبادلا بين عناصر العمل الروائي ،ولذلك تصبح البيئة جزءا رئيسيا في الرواية"<sup>2</sup> فالمكان يمثل الثابت في العمل الروائي، في حين يمثل الزمان العنصر المتغير فيها إذ يعد تقديم المكان تقنية من تقنيات السرد الفني، ولذلك يتمتع هذا الأسلوب الفني بقيمة فنية كبيرة ،لأنه "يمكن متلقي النص من الولوج إلى العالم الداخلي للمكان الذي هو جوهر العالم الداخلي للنص الكتابي وإدراك معالمه"<sup>3</sup>، وعندما يتحول الوطن إلى فكر أي أنه يتحول إلى حالة ذهنية تنشأ عن إنقطاع خارجي فعلي أو معتزم "وبناء على هذا نكون أمام قطبين يمثل أولهما قطب الداخل ،ويمثل ثانيهما قطب الخارج وينشأ عن طريق الجدل بين هذين القطبين تشكل المكان بما يشتمل عليه من خصائص فيزيقية."<sup>4</sup>

فالكوني يعيش هذه الحالة، إذ يعيش الصحراء بل يحمل الصحراء معه وهو يعيش هذه الحالة ويتمثلها وهوفي منفاه الاختياري في جبال الألب السويسرية وفي الوقت نفسه يحضر في مخيلته، تلك الصحراء الحارقة إلى جبال الألب المغطاة بالثلوج، لذلك فإن الجنيات يقمن بدور مهم في إنتقال وتحرك الشخص بين هذه الأماكن المتباعدة ،فإرتباط الإنس بالجن عامل مهم في ربط هذه الأمكنة وسرعة تحرك الشخص ومنه تشكل الصحراء أحد أبرز معالم الذاكرة العربية فضلا على أنها تشكل مساحة كبيرة من الأرض العربية فأعاد إليها بعض الكتاب الكبار الاعتبار وهم يدركون أنها جزء من الذاكرة العربية التي تتعرض لمحاولات الطمس والمحو والتشويه فالصحراء تمثل المكان المفتوح ،الشاسع المكشوف في وضوح وجلاء ولذلك يأتي الناس الصيادون الأجانب

<sup>1</sup> - عثمان إعتدال: جماليات المكان، مجلة الأقلام، بغداد، العراق، العدد2، 1986،ص94.

<sup>2</sup> - محمود حسني: المكان في رواية زينب، مرجع سابق،ص212.

<sup>3</sup> - أحمد مرشد: المكان والمتطور الفني في روايات عبد الرحمان منيف، دار القلم العربي، حلب، سوريا،(دط)، 1998، ص62.

<sup>4</sup> - غاستون باشلار: جماليات المكان، مرجع سابق،ص79.

المتمثلون بشركات النفط والسياح بإعتبارها مكانا مفتوحا ولعل، أبرز الخصائص التي تسم تفكير إبن الصحراء البساطة والإيمان بالغيبات لما "تختزنه الصحراء من غموض وسحر في الذاكرة الانسانية"<sup>1</sup>، ونظرا لصعوبة الحياة وقسوتها فإن الانسان يحاول الإتساق مع البيئة، إذ تختلط الحقيقة بالخيال وتدخل قوى غامضة في تحديد تصرفات البشر، ولكنه في الوقت نفسه فإن الإنسان في هذه الصحراء يخلق إنسجاما إتساقا في تألق الإنسان مع البيئة، فرواية نزيف الحجر تلح على هذه الصلة والإلتحام بين الانسان أسوف والمكان، بل تعد الإنسان مظهرا من مظاهر الطبيعة ، وفي هذا تعبير عن فكرة الحلول قدم أسوف يسيل على الصحراء ليرسم صورة واضحة من التلاحم والحلول في الآخر، فموت أسوف هنا هو المعادل الموضوعي للحياة التي توهب للحيوان ،من أجل أن يبقى المكان/الصحراء رمزا للحياة والإستمرار، فالأمكنة هي نحن وهي جزء من تاريخنا ،بل هي التاريخ جله.

<sup>1</sup> - شوابكة محمد: دلالة المكان في مدن الملح، مرجع سابق، ص25.





المقامة

## الخاتمة:

بعد دراسة متأنية توصلت إلى بعض النتائج أهمها:

- الزمن من أهم مكونات وبنيات النص السردي الروائي، وتتمركز حوله باقي العناصر الشخصية، المكان، الأحداث.
- الزمن متعدد في الرواية، متشابك، متكسر .
- إستطاع الروائي أن يحيك منه صورا عجائبية رائعة صبغ بها أبطال روائية وأحداثها.
- الزمن يتخلل جميع أجزاء الرواية فلا نستطيع تجزئته للدراسة فوقه يشيد المكان والشخصيات.
- كما نجد غلبة الاسترجاعات في الرواية في مقابل الهروب من زمن الحاضر .
- كما حظيت الرواية بنصيب وافر من تقنيات تواتر السرد سواء من حيث السرعة أو البطء.
- يعد الوصف آلية زمنية تعمل على إبطاء الزمن وإيقافه، وهذا ما يخلق فسحة زمنية تتوقف فيها الأحداث.
- هذا التصوير للمجتمع الصحراوي في الرواية أدى الى تعطيل السرد من خلال تقنيتي المشهد والوقفة الوصفية التي أخذت نصف الرواية خصوصا في الحوارات الطويلة .
- الأمكنة تعددت هي الأخرى وتنوعت في الرواية بين الأماكن المفتوحة: مساك ملت، مساك صطفت، أبرهوه... والأماكن المغلقة: كهف الرعاة، المكتبة، الجامعة...
- إستطاع من خلالهما إبراهيم الكوني أن يدمجها مع الزمن في نسيج متماسك أضفا جمالا في كامل الرواية.

- المكان مكون أساسي فلا يمكن تصور فعل أو حدث إلا في إطار مكاني.
- يؤدي بنا المكان إلى إكتشاف أماكن حقيقية ربما تكون مجهولة عند أبناء الوطن الواحد.
- تشغل رواية نزيف الحجر على البعد المكاني الذي يتعلق بالقيمة الجغرافية المهمة للصخرة داخل فضاء الصحراء الواسع، فهو المكان الشاهد على تعاقب الحضارات عند شعب الطوارق.
- يتم وصف المكان الجغرافي في نزيف الحجر بطريقة هندسية واعية تشبه ما يقدمه عالم الآثار الذي يكتشف أسرار الحقب الجيولوجية المتعاقبة على المكان الذي يتم فيه البحث .
- يمكن إعتبار رواية نزيف الحجر مدونة سياحية لمنطقة جغرافية معروفة قام السارد بذكر أسمائها وأبعادها المكانية إلا أنه أصبغ عليها طرائق من التخيل الحكائي جعلتها مكانا مقدسا يختلف عن الأمكنة الأخرى .
- يصور السارد الجشع الإنساني المتمثل في ظاهرة صيد الحيوانات الصحراوية المعرضة للإنقراض من أجل ممارسة هواية الأكل من طرف قابيل ومسعود رمزا الشر وتدمير الطبيعة .
- يعد الودان من عناصر تشكيل الفضاء الصحراوي الأسطوري الذي تقوم عليه رواية ابراهيم الكوني.
- رواية نزيف الحجر من أهم الروايات العربية التي تتميز بكثرة الإقتباسات منها القرآنية وعبارات الصوفيين والأساطير والتراجيديا اليونانية والعهد القديم.
- وفي الأخير أتقدم بخالص الشكر والتقدير للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم تعب قراءة هذا البحث فلمني جزيل الشكر والتقدير.
- كما أتمنى أني أفدت ولو قليلا في بحثي هذا كل سالك درب العلم.





ماتق

## السيرة الذاتية لإبراهيم الكوني

أولاً: مولده :

"ولد في 7 أغسطس 1948 م بالحمامة الحمراء في الصحراء الكبرى، روائي ليبي ينتمي إلى قبيلة الطوارق التي تسكن الشمال الإفريقي من ليبيا إلى موريتانيا كما تتواجد في النيجر، أنهى دراسته الإبتدائية و الإعدادية والثانوية في الجنوب الليبي " فزان " وبعد دراسته الأدبية في بلاده، حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبية والنقدية بمعهد غوركي للأدب العالمي بموسكو عام 1977م، يجيد الكوني تسع لغات وكتب ستين كتابا حتى الآن ، ويقوم عمله الروائي على عالم الصحراء بما فيه من ندرة وقسوة وانفتاح على جوهر الكون ، وتدور معظم رواياته حول العلاقة الجوهرية التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر الذي لا يرد .

ومن خلال إبداعه وعبقريته اختارته مجلة " لير " الفرنسية كأحد أبرز خمسين روائيا من العالم اعتبرتهم يمثلون اليوم " أدب القرن الواحد والعشرين " وسمتهم " خمسون كاتباً للغد " ، ووضع السويسريون اسمه في كتاب يخلد أبرز الشخصيات التي تقيم على أراضيهم وهو الأمازيغي الوحيد لا بل الوحيد أيضا من العالم الثالث في هذا الكتاب، كما أن رئيس سويسرا إذ إصطحبه معه في واحدة من أبرز المحطات الثقافية حيث كان أول أجنبي اختير عضو شرف في وفد يرأسه الرئيس السويسري سنة 1998 عندما كانت سويسرا ضيف شرف في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في عيد اليوبيل الخمسين، العيد الذهبي، كما ترجمة كتبه إلى لغات العالم الحية أي حوالي 40 لغة.<sup>1</sup>

ثانياً: وظائف ومناصب تقلدها:

"عمل إبراهيم الكوني في وظائف صحفية ودبلوماسية عديدة حيث كان مستشارا دبلوماسيا في السفارات الليبية في روسيا وبولندا وسويسرا ، وكان مراسلا لوكالة الأنباء

<sup>1</sup> - ويكيبيديا الموسوعة الحرة : بحث عن إبراهيم الكوني . [http:// ar, Wikipédia, org/ wiki/ com](http://ar.wikipedia.org/wiki/com).

الليبية في موسكو 1975، ومندوبا لجمعية الصداقة الليبية البولندية بوارسو 1978 ومستشارا بالسفارة الليبية بوارسو 1978، وتولى رئاسة تحرير مجلة الصداقة الليبية البولندية 1981، وتولى منصب في وزارة الشؤون الاجتماعية ثم وزارة الإعلام والثقافة ومستشارا بالسفارة الليبية بموسكو 1987، ومستشارا إعلاميا بالمكتب الشعبي الليبي بسويسرا 1992، وقدم كذلك للإذاعة العديد من البرامج المسموعة من بينها "خدعوك فقالوا" 1969، وبرنامج بعنوان "الثقافة للجماهير" 1969.<sup>1</sup>

### ثالثا: أسلوبه الأدبي:

"عندما كان إبراهيم الكوني يدرس في معهد غوركي للآداب في بدايات السبعينات كانت النظرية السائدة هي أن الرواية عمل مدني، وهذه نظرية جورج لوكاتش، وحسب النظرية لا يمكن أن تكون الرواية خارج المدينة، وقد تمكن إبراهيم الكوني من قلب هذه النظرية؛ لينتج روايات متعددة الأجزاء عن الصحراء، ويقوم عمله الروائي على عالم الصحراء بما فيه".<sup>2</sup>

### رابعا: جوائز نالها:

"حاز إبراهيم الكوني على 15 جائزة دولية لم يفز بها كاتب عربي على الإطلاق [منها:

- جائزة الدولة السويسرية، على رواية "نزيف الحجر" 1995 م.
- جائزة الدولة في ليبيا، على مجمل الأعمال 1996 م.
- جائزة اللجنة اليابانية للترجمة، على رواية "التبر" 1997 م.
- جائزة الدولة السويسرية على رواية المجوس 2001 م.
- جائزة الرواية العربية (المغرب)، 2005 م.

<sup>1</sup> -المرجع سابق.

<sup>2</sup> -ويكيبيديا الموسوعة الحرة: بحث عن إبراهيم الكوني

- جائزة رواية الصحراء (جامعة سبها - ليبيا) 2005 م.
- جائزة محمد زفزاف للرواية العربية 2005 م.
- وسام الفروسية الفرنسي للفنون والآداب 2006 م.
- جائزة (الكلمة الذهبية) من اللجنة الفرنكوفونية التابعة لليونسكو.
- جائزة الترجمة الوطنية الأمريكية على رواية واو الصغرى 2015 م.<sup>1</sup>

#### خامسا: مؤلفاته:

- ثورات الصحراء الكبرى 1970 م.
- الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص ليبية) 1974 م.
- جرعة من دم (قصص) 1993 م.
- شجرة الرتم (قصص) 1986 م.
- رباعية الخسوف (رواية) 1989 م
- نذيف الحجر (رواية) 1990 م.
- وطن الرؤى السماوية (قصص) 1991 م.
- الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية (مختارات قصصية) 1991 م.
- خريف الدرويش (رواية - قصص - أساطير) 1994 م.
- بر الخيتعور (رواية) 1997 م.
- الدمية (رواية) 1998 م.
- صحرائي الكبرى (نصوص) 1998 م.

<sup>1</sup> - ويكيبيديا الموسوعة الحرة: بحث عن إبراهيم الكوني.

- الفزاعة (رواية) 1998 م.
- وصايا الزمان (نصوص) 1999 م.
- ديوان البر والبحر (نصوص) 1999 م.
- الدنيا أيام ثلاثة (رواية) 2000 م
- رسالة الروح (نصوص) 2001 م.
- بيان في لغة اللاهوت، لغز الطوارق يكشف لغزَي الفراعنة وسومر (موسوعة البيان) 2001
- أسطورة حبّ إلى سويسرا 2003 م.
- لحون في مديح مولانا الماء 2002 م.
- الصحف الأولى (أساطير وامتون) 2004 م.
- مرآتي أوليس (رواية) 2004 م.
- صحف إبراهيم (متون) 2005 م.
- ملكوت طفلة الربّ (رواية) 2005 م.
- لون اللعنة (رواية) 2005 م.
- نداء ما كان بعيداً (رواية) 2006 م.
- قابيل .. أين أخوك هابيل؟! (رواية) 2007 م.
- وطني صحراء كبرى (متون) 2010 م.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ويكيبيديا الموسوعة الحرة: بحث عن إبراهيم الكوني

سادسا: ما قاله النقاد :

"يقول صلاح فضل: " تقوم أعمال الكوني بترجمة العوالم الميثولوجية ، والفضاء الكوني بكل أبعاده المتجذرة في الطبيعة والحيوان والإنسان ، حيث تقوم النباتات والظلال والحيوانات بدور الكائنات الاجتماعية . وهذه أبرز مفارقات الكوني الخطيرة فهو يصنع حفرياتة المدهشة في جيولوجيا المجتمع الباردة البعيدة ، إنه يعيد بناء ذاكرة الصحراء عندما يسترد مرة واحدة مخبوء الشعر والسرد المكتومين فيه ، ويفجرها بشكل إبداعي مذهل يرد لليبيا اعتبارها المفقود على خارطة الأدب العربي .

يقول جابر عصفور: " إن الكوني عبقرية إبداعية على الرغم أنه مظلوم عربيا ولم ينل حقه من التكريم ، فهو قد حصل على جوائز عالمية تليق بعبقريته ، لكن أمته لم تكرمه بما يستحق"<sup>1</sup>

ويرى عصفور أن الكوني هو العربي الوحيد الذي استطاع خلق أسطورة متكاملة شاملة بعمقها وشخصياتها ومعانيها وظواهرها وأبعادها المادية والروحية وهذه الأسطورة هي أسطورة الصحراء .

### ملخص الرواية:

يشكل عمل الكوني "نزيف الحجر" تصف العلاقة المدهشة التي تقوم بين الإنسان والحيوان في الصحراء ،حيث يجسد الكاتب هذه العلاقة ليحل الحيوان في الانسان ويحل الانسان في الحيوان وجوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالاحتمية والقدر الذي لا يرد في عالم الصحراء الذي تبدو فيه العناصر والعلاقات ثابتة لا ينتابها التغير كما يحكم على الشخصية المحورية في العمل بالموت كأضحية تجلب الخصب إلى الطبيعة الصحراوية القاحلة "فيهطل المطر وتتصالح الصحراء الجبلية مع الصحراء الرملية"<sup>2</sup> كما تقول الأسطورة التي يوردها الكاتب في روايته،في هذه الرواية يفتتح الكوني عمله الروائي بأية قرآنية : "وما

<sup>1</sup> - ويكيبيديا الموسوعة الحرة: بحث عن إبراهيم الكوني

<sup>2</sup> - الرواية: ص26.

من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم<sup>1</sup> ويتبع هذا الاقتباس القرآني باقتباس من العهد القديم يدور حول قتل قابيل أخاه هابيل ومن ثم يهيب الكاتب القارئ من خلال هذين الاقتباسين، لإستقبال الحكاية المحورية في الرواية، إذ ينبأ الإقتباسان إلى التماثل القائم بين عالمي الحيوان والأنسان، والى ما يجره قتل الانسان أخاه الانسان من جذب و فقر في عناصر الطبيعة، ويرد هذان الاقتباسان على المكان الصحراوي الذي تدور فيه الأحداث ويعتمل الصراع في جو أسطوري يشهد فيه تمثال الكاهن والودان على تراجعيا الموت الذي يخصب الصحراء ويجري الماء والعشب في عروقها أما مادة الحكاية في سر العلاقة التي تقوم بين الشخصية المحورية في الرواية (أسوف) والودان، وهو تيس جبلي ثمة غموض يحيط بهذا الحيوان الذي يقول عنه أسوف أنه "روح الجبال" فهو يعتصم بالجبل إذا طورد، وفي لحمه يكمن سر من أسرار الوجود، كما يقول شيوخ الصوفية، تقوم بين أسوف والودان علاقة سرية معقدة يحل فيها الودان في جسد أسوف ويرى فيه هذا الأخير أباه الذي صرعه الودان لأنه لم يحافظ عل نذره بعدم صيد الودان وعندما يقطع قابيل رأس أسوف وهو مصلوب على تمثال الكاهن والودان المنحوت على الصخرة، يمتص جسد الودان دم الانسان "أسوف" و تهطل أولى قطرات المطر على جسد الصحراء العطشان.

ثمة علاقات توازي تقوم بين الاقتباسات التي يضعها الكاتب في مفتح الفصول وما يحدث في الرواية ، وقد أشرنا قبل قليل إلى تلخيص أحداث الرواية في أية قرآنية وحكاية قابيل وهابيل المقتبسة من العهد القديم، أما في بدايات الفصول التالية يعمل الكوني على التوطئة للأحداث والعلاقات التي يقيمها بين الشخوص باقتباسات تعلق عل طبيعة الصحراء وموجوداتها حول صيد الودان (إقتباس من هنري تاميلي ) وشعب الجرامنت الذي يتجنب البشر ويعيش مع الوحوش التي تعمر جنوب ليبيا، (إقتباس من هيرودوت) والصبر مادة من مواد القوة التي هي بدورها مادة من مواد الولاية (إقتباس من النفري) والودان الذي يتسكع في الأدغال وقد أنهكته الأحزان، (أوديب ملكا" لسوفوكليس ) وليبيا التي تسحرت وجفت فيها الينابيع والبحيرات (كتاب "التحولات "

<sup>1</sup> - القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم : سورة الأنعام ،الدار المصرية اللبنانية، الآية37.

لأوفيد) حيث تفيء هذه الاقتباسات التي يشرح معظمها طبيعة الحياة الصحراوية والصفات التي ينبغي لأهل الصحراء أن يتمتعوا بها، حكاية أسوف وقايل والودان، أي حكاية الصراع الأزلي بين البشر أنفسهم، وصراعهم كذلك مع الطبيعة القاسية، حيث تم تحويل علاقات الصراع هذه وتوجيهها في سياق علاقتين محورتين: علاقة أسوف الحلولية مع الودان حيث يصبح أخا بالدم بعد موت الأب ويتم تصعيد هذه العلاقة إلى علاقة ذات طابع أسطوري أما العلاقة الثانية فتتمثل في حكاية أسوف مع قايل، آكل اللحم الني، والذي شرب دم الغزالة ليعيش بعد موت أبويه فتاق إلى دم أخيه الانسان، وترجع هذه الحكاية صدى حكاية قايل وهابيل الأبدية، أي حكاية الصراع الدائم بين بني الانسان، ومن خلال هذه العلاقات المحورية الناشئة في "تزييف الحجر" نستخلص أن الأسطورة تفسر الحكاية وتتناسج معها، كما أن الإقتباسات في الرواية تشكل مفتاحا تحليليا أساسيا إذ يصعب فهم جوهر عمل الكوني الروائي دون النظر إلى علاقة التناسج التي تقوم بين الحكاية التي يرويها والنصوص التي يقتبسها ويفتح بها فصول روايته.

يضفي تمثال الكاهن والودان، المنحوت في صخرة عظيمة ، غموضا ساحرا على بداية الحكاية، ثم تبدأ خيوط هذه الحكاية، الأسطورية تتحل عل خلفية نمو العلاقة بين أسوف والودان ،حيث أن روح الودان حلت في جسد أسوف، وأن الودان الذي أنقذ والد أسوف أول مرة، ثم صرعه بعد مطاردة أسطورية عنيفة، قد أخذ مكان الأب وأصبح أسوف يرى أباه في عيني هذا الحيوان الذي يمثل روح الجبال في نظر ساكني الصحراء الكبرى، و من خلال هذه العلاقة التي تقوم بين أسوف والودان ،يتمتع أسوف عن صيده فيفي بالنذر الذي نذره والده ولم يستطع أن يفي هو نفسه به، ويفتح المجهول على نهاية الحكاية، حيث يحضر قايل مصحوبا بالضابط الأوروبي الذي يهديه البنادق والسيارات والطائرة العمودية مما يمكنه من تمشيط الصحراء بحثا عن بقايا قطعان الغزلان التي أبادها وجعلها تهجر الوديان وتلجأ الى قمم الجبال، وهو أمر يخالف طبيعتها الملتصقة بالسهل الممتد في الصحراء، ظهور قايل في الصحراء تنبيهه بالقتل كما أن قايل يعرف أسطورة تحول أسوف إلى ودان وهروبه من جنود الطليان

ولكنه يضغط عليه لكي يرشده إلى مكان الودان في الصحراء فنهمة للحم يكاد يقضي عليه بعد أن انقضت الغزلان من الصحراء، وعندما ينكر أسوف معرفته بمكان الودان يقوم قابيل بصلبه على تمثال الكاهن والودان، فتلامس يد الكاهن رأس أسوف الخاسر ويلوح قابيل السلاح في الهواء مهددا فيتزاجع مسعود ويتسلق الصخرة، ثم يضحك في وجه الشمس وينحني فوق رأس الراعي المعلق رغم محاولات صديقه بمنعه، ويمسك به من لحيته ويجر على رقبتة السكين بحركة خبيثة، خبرة كل من ذبح قطعان الغزلان في الحمادة الحمراء، لم يصرخ أسوف ولم يعترض ولكن مسعود هو الذي صرخ، فتردد صدى الصرخة في القمم المجاورة، ألقى القاتل بالرأس فوق اللوح الحجري فتحركت شفتا أسوف، وتمتم الرأس المقطوع المفصول عن الرقبة : لا يشبع ابن آدم إلا التراب ! واستمر نزيف الحجر على اللوح المحفوظ في حزن الرمل وغمر الصحراء الطوفان .

بهذا المشهد ينهي الكوني روايته وبهذه الخاتمة بهذه الخاتمة التمزجية ينهي إبراهيم الكوني واحدا من الآمال الروائية العربية التي تمثل واقعية سحرية تمتزج فيها الاقتباسات القرآنية وعبارات الصوفيين بأساطير الصحراء الكبرى والتراجيديا اليونانية في هذا النص الروائي .













قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم برواية حفص عن نافع

#### أولا: قائمة المصادر

(1) إبراهيم الكوني: رواية نزيه الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1992.

#### ثانيا: قائمة الكتب باللغة العربية:

(2) أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المطابع المركزية، عمان ، ط1، 2004.

(3) آمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية وتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ، 1997.

(4) أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس نائرة)، دار الأمل للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2009.

(5) إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، الجزائر، (دط)، 2002.

(6) إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية لرواية جهاد المحبين لجرجي زيدان)، دار الأفاق، الجزائر، ط 1، 1999 .

(7) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

(8) حسن نجمي: شعرية الفضاء السردية (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1977.

- (9) حميد لحمداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003.
- (10) جبران خليل جبران: الفضاء الروائي، دار الشروق الثقافية، بغداد، (دط)، 2001.
- (11) روجي الفيصل: بناء الرواية العربية السورية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (دط)، 1995.
- (12) زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر للطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، (دت).
- (13) سامي سويدان: أبحاث في النص الروائي العربي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، (دت).
- (14) سعيد يقطين: الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.
- (15) سمر روجي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا (مقاربة نقدية)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (دط)، 2003.
- (16) سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية، للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1985.
- (17) سيزا قاسم: بناء الرواية، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (دط)، 1984.
- (18) شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- (19) شريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي، (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
- (20) صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

- (21) صلاح فضل: نظرية البنائية في نقد الأدبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985.
- (22) عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط3، 2005.
- (23) عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2003،
- (24) عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1988.
- (25) عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- (26) عبد الله إبراهيم: السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
- (27) عبد الملك مرتاض: نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، (دط) 1998.
- (28) عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردية (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، سلسلة المعرفة، الكويت، (دط)، 1995.
- (29) عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، ط1، 2009.
- (30) عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، (دط)، 2010.
- (31) محمد بوعزة: تحليل النص السردية (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- (32) محمد شوابكة: دلالة المكان في مدن الملح، أبحاث اليرموك، الأردن، العدد2، (دت)

- 33) محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1، 2012.
- 34) محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 2005.
- 35) محمد ناصر العجمي: في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، (دط)، 1993.
- 36) محمود حسني: المكان في رواية زينب، علامات في النقد، جدة، السعودية، العدد 27، 1998.
- 37) مها حسن القصراري: الزمن في الرواية العربية، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 38) ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (دط)، 1980.
- ثالثاً: قائمة الكتب المترجمة:**
- 39) أمندلاو: الزمن والرواية، ترجمة بكر عباس، منشورات دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- 40) إنريكي أندرسون إمبرت: القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة علي إبراهيم وعلي متوفي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، (دط)، 2000.
- 41) جيرار جينيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة محمد معتصم، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 1997.
- 42) جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد (من وجهة النظر إلى التبئير)، ترجمة ناجي مصطفى، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.
- 43) ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (دط)، 1990.

44) غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، (دط)، 1980.

45) فليب هامون: سميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار، الرباط، المغرب، (دط)، 1990.

46) تزفيطان تودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار بوقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.

#### رابعاً: الكتب باللغة الأجنبية:

47) Gerard Genette: figure III, collpoetique, editions du seuil , paris ,1972

48) Gulia kresteva : le tescte du romar, dition The Hague , .Paris ,1970.

49) Henri Mitterand: (Chronotopiesromanesques) PoétiqueSeuil, n°81 1990

#### خامساً: المعاجم والقواميس:

50) ابن سيدة(علي بن إسماعيل أبو الحسن ):المخصص، دار الكتب، بيروت، لبنان، السفر الثاني عشر، (دت).

51) علي بن الحسن الهنائي الأزوي :المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

52) ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج7، ط1، (دت).

53) مجمع اللغة العربية :المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم المصرية ،القاهرة، مصر، (دط)، 1994.

54) معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

سادسا: المجالات:

55) حافظ صبري: الحساسية الجديدة و إستخدامات المكان، مجلة الأقلام، بغداد، العراق، العدد 11 و12، 1986.

56) طاهر رواينية: الفضاء الروائي في الجازية والدرأيش لعبد الحميد بن هدوقة في المبنى والمعنى، مجلة المساءلة يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ع1، 1991.

57) عبد الملك مرتاض: الرواية جنساً أدبياً، مجلة الأقلام، عن وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ع11-12، 1986.

58) عثمان إعتدال: جماليات المكان، مجلة الأقلام، بغداد، العراق، العدد2، 1986

59) غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، مجلة الأداب، لبنان، العدد2، 1980.

60) ليون سرميليان: بناء المشهد الروائي، ترجمة فاضل ثامر، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العراق، العدد3، 1987.

61) محمد العيد تاورته: تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، 2004.

سابعا: المواقع الالكترونية:

62) ويكيبيديا الموسوعة الحرة: بحث عن إبراهيم الكوني

<http://ar.Wikipedia, org/ wiki/ com.>

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

- مقدمة..... أ- ب

- مدخل: البنية السردية

أ- السرد..... 4

ب- مفهوم البنية السردية..... 6

ج- جدلية العلاقة بين الزمان والمكان السرديين..... 9

### الفصل الأول: بنية الزمن

تمهيد..... 13

أولاً: مفهوم الزمن..... 14

ثانياً: نظام الزمن..... 16

ثالثاً: نظام السرد..... 32

رابعاً: مستوى التواتر السردى..... 51

### الفصل الثانى: بنية المكان

تمهيد..... 59

أولاً: مفهوم المكان..... 61

ثانياً: أنواع المكان..... 63

ثالثاً: علاقة المكان بالعناصر السردية..... 73

رابعاً: أهمية المكان فى الرواية..... 90

98.....	الخاتمة
101.....	ملحق: السيرة الذاتية لإبراهيم الكوني
110.....	المصادر والمراجع
117.....	فهرس المحتويات
119.....	ملخص

## الملخص:

تناولت هذه الدراسة الفضاء الزمني والمكاني في رواية نزيه الحجر للروائي إبراهيم الكوني بعض من جوانب السرد وهما الزمان والمكان، حيث درسناها على الرواية ولا يخفى على أحد أن الرواية من أكثر الأجناس الأدبية التي تجرى عليها الكثير من الدراسات وباعتبار أن الزمن منذ القدم هو المحرك الأساسي للوجود فنجدته يكتسب قيمته الجمالية عندما يدخل حيز التطبيق ، ولا يمكن أن يقوم هذا الزمن إلا بوجود المكان الذي هو مسرح تجسيد ووقوع الأحداث، ومنه إكتشفنا جماليات هذه الرواية من خلال الدراسة تمثلت في جمال اللغة وقوة اللفظ ودقة التصوير، وهذا ما يميز الرواية عن غيرها.

**Résume:**

Cette étude a examiné l'espace temporel et spatial dans le roman saignant pierre romancier Ibrahim Al-Koni certains aspects du récit des deux temps et lieu ,où nous Avon's étudié le roman pas un secret que le roman des plus genres réalisés par un grand nombre d'études et considérant que le temps écoulé depuis le pied est le principal moteur de l'existence Vengda acquiert une valeur esthétique quand il entre dans l'application, et ne peut pas être basé cette fois à moins qu'ils aient un endroit qui est l'incarnation et l'apparition de la scène, et de celle-ci, nous avons découvert l'esthétique de ce roman à travers l'étude était la beauté de la langue et de la puissance de la parole et le tir de precision, ce qui est ce qui distingue le roman de l'autre.

